ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 36 - العدد 1023 - الجمعة 6 ربيع الثاني 1424 هـ - الموافق 6 يونيو 2003

أمير المؤمنين يقول

في خطاب موجه إلى الأمة

إن ما وقع من عدوان ارهابي يتعارض مع عقيدتنا السمحة.

سماحة الإسلام تجعل من الجهاد اجتهادا في فعل الخير.

إن التمتع بالحقوق والحريات يقتضي القيام بواجبات والتزامات المواطنة.

معركتنا الحقيقية ضد التخلف والجهل والانغلاق وهذا ضمن استراتيجيتنا الشمولية المتكاملة الأبعاد بما فيها الجانب السياسي، والمؤسسي، والأمني، والجانب الاقتصادي، والاجتماعي، والجانب الديني، والتربوي، والثقافي، والإعلامي...

(أنظر ص : 12)

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين

لقد عاشت الإنسانية قبل مبعثه (ص) وبالأخص في الجزيرة العربية وفي كثير من أصقاع الدنيا في ظلام دامس من الجهل ، فكانت شريعة الغاب هي السائدة، والعصبية ضاربة أطنابها، وعدم الاكتراث بكرامة الإنسان هو السائد، والضعيف ممتهن، والقوي لا يتحكم فيه وازع ديني ولا سلوك أخلاقي تجمح به غرائزه الهمجية كيف شاءت وتعبث به نزواته النفسية كيف ما أرادت.

في هذا الظرف الذي عانت فيه الإنسانية شقاءا ألَمَّ بالأسرة والعشيرة والقبيلة، بعث الله نبينا محمدا (ص) رحمة للعالمين ، ومن فضل الله عليه نشر الرحمة وهذب الأخلاق وقوم السلوك، وحارب الجهل والجهالة بالأسلوب الرحماني والخطاب العقلاني، فرسالته عليه الصلاة والسلام مبنية على الإقناع والحجة الصادقة، والدلائل القاطعة، فلقد نزل عليه في الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قوله تعالى: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن".

(تتمة ص : 2)

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

الأمين العام لرابطة علماء المغرب بالنيابة

الداء والشفاء "لاإفراط ولا تفريط"

نعود للحديث مرة أخرى عن الكارثة التي حلت بمدينة الدار البيضاء مساء يوم الجمعة 14 ربيع الأول 1424(16-5-2003) والتي قام بها جماعة من المهووسين المغالين في فهم الدين وتطبيق الشريعة الإسلامية بين المومنين فقضوا على مجموعة من الأرواح البريئة التي لاذنب لها في الحياة إلا صدفة وجودها في موقع الأحداث الأليمة.

إن هذه الظاهرة الجديدة في المجتمع المغربي المسلم المسالم تكون مرضا خطيرا، وداء جديدا، حل بالأسرة المغربية، يجب البحث عن أسبابه والظروف التي وصل بها إلى فكر شبابنا المغربي، وكون منه قنابل متفجرة تأتي على الأخضر واليابس في المجتمع المغربي المسلم.

وإذا كانت الأسباب التي أوصلتنا إلى هذا النوع من الغلو، تحتاج إلى دراسة من المختصين كل فيما يخصه، فإننا يمكن أن ننظر إليها من زاوية أخرى قد تساعد على إعادة التوازن للمجال الديني المغربي حتى يستعيد عافيته لتعيش الأمة آمنة مطمئنة، بعيدة عن كل تسيب أوغلو، أو انحراف.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة (ض)، عن النبي (ص) أنه قال: 'ما أنزل الله داء إلا أنزل الله له شفاءً. والداء الذي أشار إليه حديث رسول الله (ص) نفهمه بمعناه العام فهو يعم داء القلوب وداء الأرواح وداء العقول وداء الأفكار وداء الجهل، وداء الغلو، وكل سلوك يخرج المومن المسلم عن المنهج القويم نعتبره مرضا وداءا يجب علاجه بما تعالج به الأمراض بعد استكمال البحث ومعرفة حقيقة الأسباب المادية والمعنوية.

يقول الله تعالى في سورة الإسراء الآية:82 "وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمومنين".

فمدرسة القرآن ومنهج القرآن ودار القرآن إذا دخلها المومن المسلم ووجد فيها المربي المقتدر العالم بالأدواء والبلايا والمصائب التي تخرج الإنسان عن الطريق الصحيح، فسيحصل على العلاج الشافي سواء للطفل أو الشاب أو الرجل ليصير الكل مومنا صالحا.

لابد أن نصل إلى تكوين مجتمع صحيح معافى في فكره وعقله وروحه وبدنه، لأن طهارة الروح من الشرور والشذوذ لابد أن تعطى جسما طاهرا نقيا من الأمراض والانحرافات.

إننا نقول بأن التربية على منهج الإسلام الصحيح وعلى أحكام القرآن هي الشفاء وهي الرحمة للمومنين فالتربية الصحيحة لاتقوم على التسيب في الحياة ولا على الغلو في الدين، والتوجيه القرآني صريح في هذا قال تعالى: "لاتغلوا في دينكم، ولاتقولوا على الله إلا الحق" الآية:171 من سورة النساء، فالغلو في الدين والقول على الله بغير الحق داء كبير ومرض خطير يجب التصدي له بكل الوسائل، ومحاربته بكل الطرق الشرعية من طرف العلماء لا من الادعياء الذين يحرفون الكلام عن مواضعه لتحقيق أهداف خسيسة، فالله طيب لايقبل إلا طيبا سواء في الوسائل أو الغايات وكذلك الأمر بالنسبة للتسيب والمروق والعصيان وارتكاب الموبيقات المنهي عنها شرعا وطبعا لأن الاعتدال وسط بين نقيضين هما الافراط والتفريط لذلك يبقى القرآن دائما هو الشفاء والصحة والسلام لبني البشر.

م.ر.

نماذج من الرعيل الأول لعلماء القرويين

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

أشرنا في الحلقة الماضية أثناء الحديث عن العلامة النحوي اللغوي أبي العباس بن مضاء، إلى أن عهد الدولة الموحدية عرف ازدهارا متميزا من الناحية الفكرية والثقافية، وسبقت الإشارة إلى أن خلفاء الموحدين، كان لهم اهتمام كبير بالعلم والعلماء، الشيء الذي جعل كثيرا من علماء الأندلس يشدون الرحلة إلى المغرب، ويتنقلون بين حواضره ومدنه، وبخاصة مراكش، وفاس ومن العلماء الذين شدوا الرحلة إلى المغرب في هذا العصر العلامة أبو العباس أحمد بن عبد الصمد الأنصاري الخزرجي الساعدي نسبة إلى سعد بن عبادة (ض)، صاحب رسول الله (ص)، وابن عبد الصمد هذا من أهل قرطبة، وسكن غرناطة مدة ، وبجاية، ثم استوطن مدينة فاس حيث حط رحاله، واستقر بهذه المدينة، وبها تحلق الناس حول دروسه، وانتفع به طلبة العلم وغيرهم، وكان محدثا بارعا، يدرس الحديث النبوي، ويتناوله من جوانب مختلفة، من حيث رواته وألفاظه ومعانيه، يحضر درسه عدد وافر من طلبة العلم ومن عامة الناس، وواظب على ذلك لفترة من الزمن، وكان خلال ذلك، ترد عليه أسئلة من الحاضرين وغيرهم، فيعتني بتحرير الردود عليها، وبذلك أصبحت له شهرة بين علماء القرويين، وقصده رواد المعرفة للاستفادة منه، والاغتراف من معارفه التي اكتسبها أثناء دراسته، ومن حرصه على لقاء الشيوخ، ويذكر مترجموه أنه روى عن أبي عبد الله بن مكي، وأبي جعفرالبطروجي، وعبد الرحيم الحجازي، وأبي بكر بن العربي، وشريح بن محمد، وابن ورد، وابن أبي الخصال، وغيرهم... كانت له عناية بالحديث وبعلمائه، ورواته، وكانت له عناية كذلك برد الشبهات ودحض أفكار المغرضين، وقد تجلى ذلك في بعض مؤلفاته رحمه الله، التي منها: "مقام المدرك في إفحام المشرك" و"مقاطع الصلبان، ومراتع أهل الإيمان" في الرد على بعض قسس طليطلة، وله:أفاق الشموس وأغلاق النفوس" في أحكام النبي (ص)، وله كتاب:"المرتفق فيما عليه المتفق، فيما بعد الفجر و قبل الشفق"وله:"نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه" إلى غير ذلك من تآليفه وأجوبته التي منها "قصد السبيل في معرفة آيات الرسول (ص)" وذكر مترجموه أن من تلامذته الذين أخذوا عنه:

أبو الحسن بن عتيق، وأبو سليمان، وأبو محمد ابنا حوط الله، وأبو القاسم بن بقي، وكان هذا يكثر الثناء عليه، ويقول بفضله..

وقال عنه ابن فرحون في الديباج المذهب: ولما قدم مدينة فاس، التزم إسماع الحديث والتكلم على معانيه بجامع القرويين واستمر على ذلك صابرا محتسبا، ونفع الله به خلقا كثيرا، وامتحن بالأسر سنة أربعين وخمسمائة، ثم خلصه الله عزوجل، ويستفاد من هذه الترجمة أن علماءنا رحمهم الله تعالى كانوا يقبلون على العلم بكليتهم، ويخصصون له سائر أوقاتهم، ويضحون في سبيل أخذه والبحث عنه، وعن شيوخه والمتفوقين فيه، والمشهورين به... في صبر وثبات، ولذة العلم عندهم لايعدلها شيء، محتسبين أمرهم إلى الله تعالى، ومواظبين على أخذه ونشره وعلى تحصيله والإطلاع على مظانه، وماجد من أبحاثه..يدرسون ويؤلفون، ويجيبون السائلين عن مسائله، وعما أشكل عليهم منه قانعين بما تيسر من الرزق، ولايفوتهم تصحيح الخطأ، ولا الرد على الزائغين والمنحرفين..

ومترجمنا رحمه الله لم ينج من الامتحان، فقد تعرض للأسر، وقضى في السجن مدة، ثم عاد إلى أداء رسالته:تدريسا وتأليفا، مواظبا على عمله دون كلل أو ملل.

وهذه الخلال الدالة على صبره وتحمله واستمراريته في أداء واجبه في نشر العلم وإبلاغ رسالة العلماء، هذه الخلال تذكر فتشكر.

وهي صفات حميدة أعطته مكانة سامية، واعتبارا ملحوظا بين علماء عصره.

ولاشك أن مترجمنا يقدر رسالة العلماء ومسوولياتها الجسيمة، وماتتطلبه منهم الأمانة العلمية من حراسة المنهج العلمي الهادف، وبذلك يسدون أبواب التطفل على حرمة العلم، ومكانته المتميزة، يسدونها في وجه المنتزين والمتسورين والمنتحلين...

هذا وقد ذكر ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة أن مترجمنا له برنامج. فهرس. عرف فيه بشيوخه، وبما أخذه عنهم، ومادرسه عليهم...

وقال عنه: "كان في شبيبته معروفا بالذكاء والنبل، مشهورا بالحفظ للحديث، ذاكرا للتواريخ والقصص، ممتع المجالس، متين الأدب إلي أن قال: وحضر مجلسه يوما خطاب رئيس أهل المعدن، فسمع كلامه وأعجب به، وسأل عن مؤونته، فأخبر أنها من تفقد الإخوان وإحسانهم، فتقدم إليه، وتعرف له، وسأله تعيين مايحتاج إليه عن نفقته في كل سنة، فقال له: ثلاثمائة دينا ر وستون دينارا فدفع له خطاب ثمانمائة دينار، وقال له هذه جراية عامين لك، دون ماتحتاج إليه من كسوة ومؤن مواسم، ورتب له الجراية، ولم يقطعها عنه مدة من تسعة أعوام، جزاه الله أفضل الجزاء....(1).

ويدل كلام ابن عبد الملك: أنه على عهد الموحدين كان هناك مراقبون يتتبعون مجالس العلماء، ويتفقدون أحوالهم، ويحددون رواتبهم، وجرياتهم السنوية، ويقدرون لهم مايحتاجونه من نفقات، كل على قدر مكانته في العلم ونشره، ولايبخسونهم حقهم.

والهدف من ذلك حفظ كرامة العالم، وتشجيعه على التفرغ للدرس والبحث، وعلى إنجاز أعماله الفكرية، وبذلك تزدهر الحركة العلمية، وتقوى همم الباحثين وطلبة العلم، ورواد المعرفة.

---

(1) مراجع هذه الترجمة:

. تكملة الصلة لابن الأبار. الذيل والتكملة لابن عبد الملك.

. الديباج المذهب لابن فرحون. جذوة المقتبس لابن القاضي.

. سلوة الأنفاس لمحمد بن جعفر الكتاني.

(تتمة ص:1)

إننا نعيش هاته الفرحة العارمة التي يتجاوب معنا فيها كل مؤمن صافي السريرة محب لمن أوجب الله محبته سيد الأولين والآخرين، ولقد مَنّ الله علينا بجوده وكرمه بأن صادف الاحتفاء بمولد النبي (ص) أن وهب لأمير المؤمنين مولودا ولي عهد جلالته مولاي الحسن، في مناسبة مولد سيدنا محمد (ص) جد ولي العهد وجد ملوكنا الغر الميامين الملوك العلويين، أبد الله ملكهم، وخلد في الصالحات ذكرهم، وهذا ولاشك من يمن الطالع، فاحتفى شعبنا المغربي بهذا المولود المبارك الذي نرجو الله أن يقر به عين أمير المؤمنين، وأن يحقق فيه رجاءه، ويبلغه مراده في ولي العهد والشعب المغربي هذا الشعب الذي يبادل العرش حبا بحب، ووفاء بوفاء، وإخلاصا بإخلاص.

ولقد عبر شعبنا في جميع جهات المملكة المغربية بجميع شرائحه عن الفرحة التي خامرت النفوس، ودخلت البيوت وعمت الشوارع والمدن والقرى والواحات بهذا المولود الذي قارن ازدياده مولد جده محمد صلى الله عليه وسلم، فتراكمت البشائر والمسرات داخل المملكة المغربية وخارجها، وذلك ما عبر عنه كثير من قادة الأمم وشعوبها في هذا الشهر المبارك، وفي هاته المناسبة العظيمة عند الله وعند المومنين.

نرجو الله تبارك وتعالى أن يزيد في أفراحنا وأن يبعد عنا الأتراح بجاه سيدنا محمد (ص) الذي نحتفي بذكرى مولده السعيد والذي هو رحمة مهداة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أعاد الله هذا العيد على سيدنا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس مرات تلو مرات وهو يرفل في ثوب العز والنصر والتمكين وأقر عين جلالته بولي عهده الجليل سمو الأمير مولاي الحسن وأن ينبته الله نباتا حسنا وأن يحقق فيه الأمال بجاه أفضل الرجال، وأن يقر عين جلالته بصنوه السعيد سمو الأمير مولاي رشيد، وبجميع أفراد الأمراء والأميرات، وأن يريه في شعبه وجميع المسلمين والإنسانية بصفة عامة ما تقر به عينه ويثلج به صدره، ويحقق لجلالته آماله، إنه ولي التوفيق وعلى ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

بقلم الأمين العام لرابطة علماء المغرب بالنيابة
الشيخ ماء العينين لارياس

هكذا كان العرب

تحفظ كتب التاريخ نص رسالة موجهة من "الملك جورج الثاني" إلى الخليفة الأندلسي "هشام الثالث" جاء فيها:

"من جورج الثاني ملك انجلترا والفال والسويد والنرويج إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس، صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام.

بعد التعظيم والتوقير فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع به معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من أربعة أركانها، وقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة "دوينات" على رأس بعثة من بنات أشراف الانكليز لنتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم.

من خادمكم المطيع
جورج الثاني

هذه الرسالة أوردها المؤرخ الانكليزي "جون داونيورت" في كتابه: "العرب، عنصر السيادة في القرون الوسطى".

هكذا إذن كان العرب وهكذا أصبح العرب في القرن الواحد والعشرين. عصر جامعة الدول العربية.

يا للحسرة!

جريدة النهار،519/2003.

تصحيح آيات

■ بقلم: محمد فوزي

مع العدد رقم 1020 والصفحة رقم 8 وفي العمود الأول والسطر الثامن (يغفر)كتبت بالتاء والصواب الياء في سورة البقرة (يغفرلكم).

وفي نفس العمود حدقت (لا) من الكلمة (لاذلول) كنت (بقرة ذلول)فأفسدت المعنى والصواب (لاذلول).

وفي الصفحة الرابعة في مقال الأخ (بوغوته) كتب الأية (وإنك لعلى عظيم) فخدمت كلمة (خلق) والصواب(وأنك لعلى خلق عظيم).

وفي الصفحة 6، في العمود الرابع في مقال الأخ اللويزي، حذفت جملة (وعمل صالحا)من الأية (من آمن بالله واليوم الأخر وعمل صالحا.الأية: وهي من سورة البقرة.

الوثاق

شرح أبيات للإمام الشافعي

لما سئل الإمام الشافعي عن القدر أنشد:

فما شئت كان وإن لم أشأ
وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ملة
ففي العلم يجر الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت
وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقي ومنهم سعيد
ومنهم قبيح ومنهم حسن

للعلامة محمد عبد السلام بناني

■ الأستاذ: إدريس كـــرم

فجمع رضي الله عنه في هذه الأبيات جميع دلائل المسألة وسنتعرض لشرح الدلائل المشار إليها فنقول:

الدليل

أن الكافر يريد الإيمان والحق، ولا يريد الكفر والجهل والباطل، فلو كان الأمر بالصد، علمنا أن فعل العبد من الله تعالى، وهذا هو المراد بقوله ما شئت كان وإن لم أشأ البيت، وإليه الإشارة بقول على ابن أبي طالب رضي الله عنه: عرفت ربي بنقض العزائم وفسخ الهمم، فإن قيل إنما حصل الكفر بفعل العبد، لأنه اعتقد في ذلك الكفر أنه صدق وحق، فلا جرم اختيار تكوينه وإيجاده، قلنا لولا ذلك الإعتقاد السابق لما اختار هذا الكفر لكن الكلام في هذا الاعتقاد السابق كالكلام في الأول، فإن كان اختيار ذلك الجهل لسابقة جهل آخر فلزم التسلسل، وهذا محال.

❖❖❖

ولما بطل ذلك ثبت أن تلك الجهالات منتهية إلى جهل أول حصل فيه، لا به ولا بتكوينه بل بتخليق الله تعالى وذلك هو المطلوب،

الدليل الثاني

قولنا إن الله تعالى عالم بجميع المعلومات ومن جملة المعلومات، أن خلاف معلوم الله ممتنع الوقوع فكان لا محالة عالما، بأن خلاف معلومه ممتنع الوقوع، فمن حلم كونه ممتنعا امتنع أن يريد وجوده وحصوله، وإذا أثبت هذا وجب القطع بأن كل ما علم الله وقوعه فقد أراد وقوعه إيمانا كان أو كفرا، وهذا هو المطلوب وهو المراد بقوله: خلقت العباد على ما علمت البيت،

ونقل عن الشافعي رضي الله عنه أنه كان يقول إذا ناضرت القدر فلا تترك مسألة العلم، والمراد ما ذكرناه.

الدليل الثالث

أن نرى الخلق مختلفين في الفكر والإيمان والسعادة والخير، لأن مع الاستواء في العمل والفهم والطلب الشديد للحق والاحتراز التام عن الباطل، باختصاص المومن بإيمانه والكافر بكفره، إما أن يكون لمخصص أو لا مخصص، والثاني باطل وإلا لزم نفي الصانع فثبت أنه لابد من مخصص، فذلك المخصص إما أن يكون من العبد أو من الله، والأول باطل وإلا أعاد الطلب في أنه لم كان فعل أحدهما مرجح الإيمان ومبعد الثاني مرجح الكفر، ولو لم يكن الأمر بالعكس.

فإن كان ذلك المرجح آخر من جهة العبد، لزم التسلسل وهو محال، ولنا باطل، هذا القسم ثبت أن رجع فعل العبد هو الله تعالى، وحينئذ يكون الكل من الله تعالى، وتحقيق القول فيه أن الإنسان يجد من نفسه أنه ما لم يرد لا يمكنه أن يفعل، فربما لم يرد الترك لا يمكنه أن يترك، ثم إن تلك الإرادة لا يكون لإرادة أخرى وإلا لزم التسلسل، فوجب القطع بأن تلك الإرادة الجازمة في القلب، وجب حصول الفعل لا محالة، فلا حصول للإرادة في القلب بالعبد، ولا حصول للفعل بعد حصول الإرادة في القلب بالعبد، فالكل من الله تعالى، والإنسان مضطر في صورته ثم مختار، إذا عرفت هذا فنقول قوله:

على ذا سترت وهذا خذلت
وهذا أعنت وذا لم تعن

إشارة إلى الدواعي والصوارف التي تحدث في القلوب بتخليق الله تعالى، وإذا خلق في القلوب إرادة جازمة وداعية قوية للإيمان، فذلك هو التوفيق والأمانة والهداية، وإذا خلق في القلب رغبة وميلا وإرادة للقيام والجهالات فذلك خذلان، وأما قوله:

فمنهم شقي ومنهم سعيد
ومنهم قبيح ومنهم حسن

فهو إشارة إلى أنه متى حصل الخذلان وهو داعية الكفر والفسوق، خالية عن التزلزل والاضطراب، فإنه لابد وأن يصير شقيا ومتى حصل التوفيق، وهو داعية الدين والصلاح، فلابد وأن يصير سعيدا.

❖❖❖

واعلم أن هذه النكتة اللطيفة التي محصناها مذكورة في القرآن العظيم، وذلك لأن قوله تعالى، **إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يومنون** فأخبر أنهم لا يومنون قط، ثم قال، (**ختم الله على قلوبهم**) وذلك الختم عبارة عن الداعية الحاصلة في قلبه للكفر وترك الإيمان، فإنه كما أن الباب المختوم لا يفتح أصلا فكذلك القلب إذا حصلت فيه داعية الكفر والفسق فإنه لا ينفتح البتة للإيمان والطاعة،

فما أحسن هذه الدقائق وما أشرفها، وما أجلها تأويل في هذه الأبيات، حتى لم يبق لأحد من عظماء المتكلمين من الدلائل النفسية في هذه المسألة مقال في الأبيات. ومما يقرب منها قوله رحمه الله.

الهم فضل والقضا غالب
وكائن ما خط في اللوح
وانظر الروح أسبابه
أليس ما كنت من الرَّوْح

فقوله الهم فضل والقضا غالب، معناه ما ذكر في قوله ماشئت كان وإن لم أشأ لخ وقوله، وانظر الروح وأسبابه إلى ما كنت من الرَّوْح، إشارة إلى أن الأمور المطلوبة عند اجتماع أسبابها الظاهرة، قد لا تحصل، وعند اليأس من حصولها قد تحصل، وذلك يدل على أن حصولها ليس بجد للإنسان وبحمده بل بخيره.

❖❖❖

فإن قيل فما معنى قوله الْهَمُّ فضل، فإن الهم أيضا واقع بالقدر، قلنا هو من قوله المَقدُورُ كائن والهَمُ فضل وليس معنى كون الهَمُّ فضل، أنه خارج عن القدر، بل معناه أنه وإن وقع بالقدر فهو فضل فما يرجع إلى كونه دافعا للقدر.

❖❖❖

وَله رضي الله عنه في خطبه كما في الرسالة.

الحمد لله الذي لا يؤدي شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة من توجب على مدد من ذلك الشكر شكر له آخر، ومعنى هذا الكلام أنه لا يمكن شكر نعمة الله إلا بتوفيقه، وذلك التوفيق نعمة جديدة من الله، فنفتقر إلى شكر آخر، ويلزم التسلسل، وما كان كذلك كان الاشتغال بأدائه ممتنعا، فيلزم أن يكون القيام بأداء شكر نعم الله ممتنعا مع أن الله تعالى قد أمر به، ثم في هذه الحلبة أيضا، واستهدى بهَداء الذي لا يضل من أنعم به عليه.

وعند المعتزلة أن هدى الله عام في حق المومن والكافر، وقد قال تعالى:"**وما تشاؤون إلا أن يشاء الله**" فأعلم سبحانه أن المشيئة له دون خلقه، وأمشئتهم لا تكون إلا أن يشاء وهو الدليل الأقوى لمشيئة القضاء والقدر، وذلك لأن صدور الفعل من العبد موقوف على ما يحصل في قلبه من مشيئة لذلك الفعل، وحصول تلك المشيئة لست مشيئة أخرى من فعل العبد، وإلا لزم التسلسل، فلابد من انتهاء تلك المشيئات إلى مشيئة تحدث بمشيئة الله.

❖❖❖

وعليه فالكل بقضاء الله وقدره، فإن قيل قوله تعالى: "**فمن شاء فليومن ومن شاء فاليكفر**" تصريح بأن الكل بمشيئة العبد، قلنا هذه الآية دلت على أن صدور الفعل عن العبد موقوفا على كونه شائيا لذلك الفعل، وقوله وما تشاء إلا أن يشاء الله، دليل على أن حصول المشيئة للعبد موقوف على كون الله تعالى شائيا لتلك المشيئة، والموقوف على الموقوف على شيء موقوف على ذلك الشيء، وهاتان الآيتان بمجموعهما دليل على أن الكل بقدر الله.

❖❖❖

ومن شعره رضي الله عنه:

قدر الله واقع
حيث يقضي ورده
قد مضى فيك حكمُه
وانقضى ما يريده
فأرد ما يكون إن لم
يكن ما تريده

انتهى وكفى وسلم ورضي على عباده الذي اصطفى من حظ مؤلفه سيدي محمد ابن عبد السلام البناني

ح ع: د 2568.

في ظلال الحديث

نص الحديث: عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال قال رسول الله (ﷺ) :"لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما" رواه البخاري

الحديث السابع والستون: جريمة قتل النفس

■إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث:

أخرجه البخاري في صحيحه، في الديات باب قول تعالى: (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم"ج6/ص2517/ح6469، واللفظ له، وابن حنبل في مسنده ج2/ص94/ح5681، كلاهما عن ابن عمر، وأبو داود في الفتن، باب في تعظيم قتل المؤمن ج4ح104، من حديث أبي الدرداء، والحاكم في مستدركه،ج4/ص391/ح8029، وصححه وقال على شرط الشيخين من حديث ابن عمر، والطبراني في معجمه الكبير ج9/ص180/ح8887، مثل حديث ابن عمر، موقوفا علي ابن مسعود إلا أن فيه انقطاعا، وزاد في آخره: "فإذا أصاب دما حراما نزع منه الحياء"والبيهقي في سننه الكبرى ج8/ص21/ح15635،ح15636،ح156 37.

سند الحديث:

هذا الحديث أخرجه البخاري قال: حدثنا علي حدثنا إسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن ابن عمر (رضي الله عنهما) وذكر الحديث.

حدثنا علي: هو أبو الحسن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري الهاشمي مولاهم البغدادي. قال بن حنبل اكتبوا عن علي بن الجعد فإن عنده أشياء حسانا، وقال أبو زرعة الرازي هو صدوق وقال أبو حاتم الرازي كان علي بن الجعد الجوهري متقنا صدوقا يأتي بالحديث على لفظ واحد لايغيره، وعن موسى بن داود قال ما رأيت احفظ من علي بن الجعد، وقال الدارقطني ثقة مأمون، مات يوم السبت لست ليال بقين من رجب سنة203هـ، وكان له يوم توفي 96 سنة وأشهر.

حدثنا إسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص: إسحاق ابن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص القرشي الأموي السعيدي الكوفي، من قدماء مشايخ أهل مكة وكان قد عمر على تيقظ فيه وضبط واتقان. قال أبو حاتم الرازي هو شيخ وهو أحب إلي من أخيه خالد قال النسائي هو ثقة. وذكره بن حبان في الثقات في الطبقة الرابعة. روى له البخاري ومسلم وأبو داود ابن ماجة. قال البخاري مات سنة 176هـ.

عن أبيه: هو أبو عثمان سعيد ابن عمرو بن سعيد بن العاص القرشي الأموي الكوفي. ذكره محمد بن سعد في الطبقة الرابعة من أهل الكوفة قال وسألت عنه بن مندة فقال هو الأول.قال أبو زرعة والنسائي ثقة وقال أبو حاتم صدوق وقال الزبير بن بكار كان من علماء قريش بالكوفة وذكره بن حبان في الثقات. روى له الجماعة سوى الترمذي. ومات بعد العشرين ومائة.

عن ابن عمر (رضي الله عنهما): هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر، القرشي العدوي المكي ثم المدني (رضي الله عنهما)، ولد في السنة الثانية من البعثة، أسلم وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه وأمه وعمره إحدى عشر سنة، رده النبي (ﷺ) يوم بدر إشفاقا عليه لصغر سنه، أول غزواته الخندق ولم يتخلف بعدها أبدا، وهو ممن بايع تحت الشجرة، وأمه زينب بنت مظغون، روى علما كثيرا عن النبي (ﷺ)، وهو من الستة المكثرين من رواية الحديث (وهم: أبو هريرة ثم ابن عمر ثم ابن أنس ثم ابن عباس وجابر وعائشة)روي له 2630 حديثا، كان من فقهاء الصحابة ومتقيهم وزهادهم، حج ستين واعتمر ألف عمرة وأعتق ألف رقبة، وأتاه اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس فلم يقم حتى فرقها، ومناقبه كثيرة. قال ابن المسيب: لو شهدت لأحد أنه من أهل الجنة لشهدت لابن عمر، توفي (رضي الله عنهما) قرب مكة بعد الحج سنة 74هـ.

أهمية الحديث:

إن الله عز وجل كرم ابن آدم، وجعل له حرمة خاصة، فجعل قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق جريمة شنعاء، وفظاعة نكراء، لايقرها شرع ولا عقل، وهذا الحديث يبين بما ليس فيه لبس أو غموض أن لاحظ لقاتل النفس بغير حق في رحمة الله وعفوه وكرمه.

مفردات الحديث:

"فسحة":سعة ورجاء رحمة من الله تعالى.

"يصب":يباشر.

"دما حراما": قتلا بغير حق.

المعنى العام:

تقديم: الغدر شيمة الحقراء والخيانة أخلاق الجبناء الأخساء، والاغتيال من طباع من فقدوا الرجولة والشجاعة، وإتلاف أموال الأبرياء صناعة محترفي الحرام الوضيعين اللئام، وسفك الدماء البريئة، وترويع النساء والأطفال، مناقب وسمات فاقدي الإيمان وأموات الضمير والوجدان.

وإن من أفظع الكبائر وأعظم الجرائم عند الله قتل النفس البريئة بغير حق. لأن القاتل الظالم يخرج بجريمته الشنعاء، وفعلته النكراء من الإسلام وحظيرة الإيمان، قال ابن العربي وهو يتناول بالشرح والتحليل هذا الحديث: الفسحة في الدين سعة الأعمال الصالحة حتى إذا جاء القتل ضاقت لأنها لاتفي بوزره، والفسحة في الذنب قبوله الغفران بالتوبة حتى إذا جاءالقتل ارتفع القبول، وحاصله أنه فسره على رأي ابن عمر في عدم قبول توبة القاتل. لقول رسول الله ٠ص): "أما بعد، فما بال المسلم يقتل المسلم؟ وهو يقول إني مسلم أبى الله علي فيمن يقتل مسلما".

1. تحريم قتل النفس: لقد شدد هذا الدين في صيانة هذا الإنسان، وحفظ دمه من أن يهرق بدون حق فقال عز من قائل: (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا" سورة المائدة/الآية:32، قال ابن العربي في أحكامه: إنه بمنزلة من قتل الناس جميعا عند المقتول، إما لأنه نفسه فلا يعنيه بقاء الخلق بعده، وإما لأنه مأثور ومخلد كأنه قتل الناس جميعا على أحد القولين، واختاره مجاهد وإليه أشار الطبري، وقال بعض المتأخرين: إن معناه: يقتل بمن قتل كما لو قتل الخلق أجمعين ومن أحياها بالعفو فكأنما أحيا الناس أجمعين.

والحق أن القاتل قد اعتدى على حق الحياة الذي هو حق للناس أجمعين فمن قتل واحدا فكأنما قتل الناس جميعا، ولذا جاء في الصحيحين : "ما من نفس تقتل نفسا ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها".لأنه أول من سن (القتل).

وقال الألوسي في روح المعاني: وفائدة التشبيه الترهيب والردع عن قتل نفس واحدة بتصويره بصورة قتل جميع الناس، والترغيب والتحضيض على إحيائها بتصويره بصورة إحياء جميع الناس (811/5).

ولقد بلغت جريمة القتل من الفحش والنكارة مالم تبلغه جريمة أخرى بعد الإشراك بالله، حتى ذهب عدد من أصحاب رسول الله (ﷺ) إلى أن القاتل لاتقبل له توبة وأنه لن يدخل الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط.

2. حرمة المسلم كحرمة البلد الحرام (مكة):

لقد عظم رسول الله (ﷺ) من حرمة انتهاك حرمة المسلم خاصة دمه ولم يفرق رسول الله (ﷺ) بين الذي ينتهك حرمة المسجد الحرام وبين الذي ينتهك حرمة المسلم فقد ثبت في الصحيحين عن أبي بكرة أن النبي (ﷺ) خطب الناس بمنى فقال: أتدرون أي يوم هذا؟ قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ثم قال: أليس يوم النحر؟ قلنا بلى، قال: أي بلد هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم، قال: أليس بالبلد . يعني الحرام . قلنا بلى يارسول الله، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا . في بلدكم هذا . ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد ليبلغ الشاهد الغائب، فإنه رب مبلغ يبلغ من هو أوعى له، فكان كذلك، وقال: ألا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض.

3 من مواقف يوم القيامة: هل تصور القاتل نفسه في مواقف القيامة، والمقتول المظلوم متعلق به، والملائكة تسوقه إلى الحساب بين يدي الله، ليلقى جزاءه الحق وقصاصه العادل وقد شمل السواد وجهه وملأ الرعب قلبه وقد غضب عليه الرحمن وتبرأ منه الشيطان، وقد فقد الشفيع، وتبرأ منه الصديق، كما نطق القرآن حيث يقول:(ما للظالمين من حميم ولاشفيع يطاع يعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور).

وفي هذا قال(ﷺ): (يأتي المقتول يوم القيامة متعلقا رأسه بإحدى يديه متلببا قاتله بيده الأخرى تشخب أوداجه دما. حتى يأتي به تحت العرش فيقول المقتول: أي رب.سل هذا فيم قتلني، فيقول الله للقاتل، لقد شقيت وتعست، ثم يذهب إلى النار).

4 القاتل والآمر، الفرد والجماعة شركاء في القتل: يشترك في جريمة القتل، وعظيم مسؤوليته القاتل والآمر، الفرد والجماعة، قلت الفئة أم كثرت؟فالقصاص لجميع الشركاء والعذاب واجب لكل الفرقاء. بل لو شارك أحد في جريمة القتل بكلمة أو بعض كلمة فيعتبر في الشريعة الغراء قاتلا مجرما. وسفاكا مفسدا.قال٠ص): "لو أن أهل السموات والأرض اشتركوا في دم مؤمن، لأكبهم الله في النار" وقال أيضا: "من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة، لقي الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله".

قال الباجي في المنتقى شرح الموطأ لمالك (611/7):فأما قتل الجماعة بالواحد يجتمعون في قتله فإنهم يقتلون به، وعليه جماعة من العلماء وبه قال عمر وعلي وابن عباس وغيرهم، وعليه فقهاء الأمصار ولم نعرف مخالفا لعمر فثبت أنه إجماع.

هذا في القتل والقاتل إذا لم يكن هنالك واسطة وآمر، أما إذا كان هناك آمر بالقتل ودافع إليه، فإن حصة الآمر والمتآمر من عذاب الله أشد وأعظم أضعافا مضاعفة من حصة القاتل المباشر. قال رسول الله (ﷺ): "قسمت النار سبعين جزءا فللآمر تسع وستون، وللقاتل جزء حسبه" أخرج ابن عدي والبيهقي عن ابن عمر قال: قال النبي (ﷺ): "من أعان على دم امرئ مسلم لينظر كلمة كتبت بين عينيه يوم القيامة" أيس من رحمة الله تعالى.

5 كيف نحمي مجتمعنا من هذه الظاهرة الشنيعة الغريبة: التربية الدينية الحقة، والعقيدة الإيمانية الخالصة، هي ماعمرت، في قلب صاحبها، أمانة ونصيحة، وصدقا وإخلاصا، وعفة ونزاهة، في حق الوطن ومع الناس أجمعين أن الإيمان الحق هو مايجنب صاحبه الغدر والخيانة، والجريمة والنذالة، وما ينزه صاحبه عن الغش والخديعة، ومايباعد معتنقه عن المطامع الخسيسة والمحارم. قال (ﷺ): "الإيمان عفة عن المطامع وعفة عن المحارم".

الإيمان الحق هو مايجعل صاحبه يوثر القليل من الحلال على الكثير من الحرام.

الإيمان الحق يحمل صاحبه على طلب رضاء الله تعالى غضب من غضب ورضي من رضي، إيمانا وتصديقا يقول الرسول الكريم: "من أرضى الناس بسخط الله عليه وأسخط عليه الناس سخط، ومن أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عليه الناس".

إن الإيمان الحق، هو مافتح قلب المؤمن وعينيه حتى يؤمن ويوقن أن طريق الاستقامة والصلاح، أنجح له وأعظم فائدة وثمرة من طريق الأذى والفساد. وقال الله تعالى: (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين) النحل/الآية:30.

إن الإيمان الحق هو الذي يجعل المسلم هينا لينا، محبا مسالما، يحب كل من قال: "لاإله إلا الله، محمد رسول الله "دون أن ينقب على قلوب الناس، أو يفتش في نياتهم.

إن الإيمان الحق هو الذي يجمع ولايفرق، يوحد ولايشتت، ويؤلف ولايؤلب...

وإذا كان الإسلام قد نهى أن يقول الرجل لأخيه كلمة تسوؤه، وحرم عليه لمزه وتعييره، فبالأحرى كان التحريم أشد، والجريمة أشنع وأفظع، والذنب أكبر والعقوبة أشد لمن قتله.

نسأل الله عز وجل أن يحفظنا ويحفظ المسلمين جميعا بما حفظ به الذكر الحكيم، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

فوائد الحديث:

- خطورة قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.
- قتل النفس بغير حق من الذنوب الكبيرة التي قد تغلق على المكلف الأمل في رحمة الله وتجعله من اليائسين.

والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث المنابر

التدخين وملحقاته: مضارها ومخاطرها

■ إعداد الاستاذ: رضوان ابن شقرون

الحمد لله أنعم علينا بالنعم الوافرة، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، ووهبنا نعمة الحياة بفضله فنحن بين معتق نفسه وبين موبقها، وأمدنا سبحانه وتعالى بالأرزاق وقدر للكائنات آجالها وأقواتها. نحمده سبحانه وتعالى ونشكره، ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهد الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا.

وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له، جعل الإنسان في الأرض خليفة، وسخر له الأرض وما فيها من الخيرات، وأحل له الطيبات، وحذره من الخبائث الضارات، فسبحانه من رب رحيم كريم، له الفضل كل الفضل، وله الثناء بما هو له أهل. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله النبي المصطفى الكريم، الذي يجده أهل الكتاب مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم. فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون. صلى الله وسلم عليه وعلى آل بيته الطيبين، وعلى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه البررة الأكرمين، وعلى التابعين وتابعيهم، وعلى من اقتفى أثرهم واتبع سبيلهم واهتدى بهديهم ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين.

أما بعد فياعباد الله آمنوا بالله ورسوله بحق، وانصروا دين الله بصدق، وأطيعوا الله ورسوله، ولاتولوا عنه وأنتم تسمعون، ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون، ولاتقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن، ولاتقتلوا أنفسكم بتعاطي المحرمات، فإن الله كان بكم رحيما إذ حرم عليكم كل خبيث، واكتفوا بالحلال الطيب وإن كان قليلا عزيزا، فإن الله طيب أحل لعباده الطيبات، ونبه إلى أن الخير في الطيب والشر في الخبيث فلا يستويان أبدا: قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث.

مضار مهلكة

وإن التدخين الإرادي والتخدير الاختياري والاستنشاق اللاإرادي لدخان السجائر وسائر أنواع التبغ ومشتقاته، كل ذلك يشكل تهديدا حقيقيا وخطيرا للإنسان على مختلف المستويات ولجميع الشرائح والأصناف من المخلوقات. والأضرار التي يسببها التدخين أو تناول المخدرات تصيب المرء في دينه وعقله وفي بدنه وماله وفي عشيرته وعترته وفي محيطه وبيئته.. وهذا كله يتنافى مع مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها.

فمن الأمراض العضوية والآفات العارضة التي يسببها تعاطي تلك الأعشاب الخبيثة السامة: التهاب العينين، وآلام الحنجرة، وآلام الرأس، والصلع المبكر، والأمراض المزمنة للرئة وجهاز التنفس كسرطان الرئة ونخر الرئتين والسعال، وأمراض القلب القاتلة كتقلص الشرايين والذبحة القلبية وأزمات القلب والربو... والله عز وجل يقول: "ولاتقتلوا أنفسكم، إن الله كان بكم رحيما"، ومن الأخطر والأدهى أن الأطفال والمراهقين أكثر تعرضا للإصابة بتلك الأمراض المهلكة الناجمة عن التدخين أو استنشاق دخان المحروقات التبغية ومايشتق منها أو يلحق بها.

ومن الأمراض النفسية: الاكتئاب، والإدمان، وفقدان الإرادة والسيطرة على الشأن والعادة.. والعادة السيئة تستعبد صاحبها فلا يستطيع التخلص منها إلا بصعوبة ومشقة وعزيمة قوية، فإذا عجز المدمن عن تناول ماتعوده من الخبائث لمانع داخلي أو ضغط خارجي اضطربت حياته، واختل ميزانه، وساءت حاله، وتعطل فكره، وتوترت أعصابه، وأصبح هائجا ثائرا بسبب وبدون سبب، أو باردا منحلا عديم الإرادة ضعيف الشخصية سهل الانجراف والغبن!

ومن المخاطر الاجتماعية التي تشكل في عمقها إجراما في حق الأسرة والأقارب: سوء خصوبة المرأة واضطراب إنجابها إذا استنشقت شيئا من ذلك عفوا، أما إذا دخنت أو تناولت شيئا بنفسها فإن أثر ذلك في دمها وفي جنينها يشكل اتهاما صريحا ومدينا لهذه الأم المدمنة بالإجرام في حق ولدها، ومعلوم أن الأولاد يتأثرون بآبائهم أجنة وأطفالا وكبارا! بل إن أغلب الأطفال المصابين بالأمراض، أو الذين يولدون بأمراض، إنما كان السبب في ذلك ماورثوه عن آباء أو أمهات مدخنين أو مدمنين على المخدرات والخبائث المحرمات! هذا بالإضافة إلى عواقب اجتماعية أخرى خطيرة سببها الإدمان على معظم أنواع التبغ والأعشاب والمنتجات الأخرى الملحقة به أو المشتقة منه، كالإهمال في الواجبات، والخلل في التسيير والتدبير، والسلبية في المواقف، وربما أدى الأمر إلى الإجرام وهتك الأعراض والاعتداء حتى على الأقارب والأحبة والمحارم!! فكم من المآسي الاجتماعية المهولة تعيشها أسر بريئة بسبب سوء سلوك أحد أفرادها وتعاطيه لتلك المحرمات أو استسلامه لنزوة الشهوات والمغريات، وربما كان الأب نفسه أو الأم بذاتها!!

ومن الأخطار البيئية انتشار التلوث والتسمم والتعفن، مع إذاية الآخرين بروائح الدخان والتبغ والكيف وأنواع الخبائث الكريهة المنتنة حتى لو استحلاها المدمنون المتعودون عليها، فكم من ضارة خبيثة تميل إليها النفوس الدنيئة المستلبة!!

وهناك مفاسد مالية واقتصادية كإنفاق الأموال فيما يضر بالنفس والغير ولاينفع لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأقل عواقبها الوقوع في التبذير والإسراف وهما من أبرز المنهيات، قال تعالى : "ولاتسرفوا، إنه لايحب المسرفين" وقال سبحانه:"ولاتبذر تبذيرا، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين"، فكم من الأموال تنفق في إحراق هذه الخبائث أو إنتاجها! وما أغلى الكثير من أنواعها! وما أكثر المحتاجين إلى بعض هذه الأموال ليقتاتوا منها ممن لايجدون ماينفقون في الضروريات الحتمية! وهناك ملايين من الناس يتضوعون جوعا، على حين تنفق عشرات الملايين في شهوة التدخين الخبيثة المضرة والمتلفة، ولقد ذكر الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى أن "السرف حرام، وهو النفقة فيما حرم الله تعالى، قلت أو كثرت، ولو أنها جزء من قدر جناح بعوضة، أو التبذير فيما لايحتاج إليه ضرورة، أو إضاعة المال وإن قل برميه عبثا. قال تعالى: "ولاتسرفوا، إنه لا يحب المسرفين".

إحصاءات مهولة:

ولعلنا نعتبر إذا اطلعنا على بعض الأرقام والإحصاءات المهولة التي صدرت عن مصادر دولية، حيث نقرأ بدهشة مايلي:

. أربعة آلاف (4000) مادة كيميائية منها (43) مادة مسرطنة، يشتمل عليها دخان السجائر.

. مليار(1000.000.000)شخص هو عدد المدخنين في العالم.

. ثلاثون ألف (30.000)حالة إصابة بالسرطان يعرفها المغرب وحده في السنة الواحدة بسبب التدخين أو الأعشاب السامة.

. أربعة ملايين (4.000.000)شخص يموتون سنويا في العالم بسبب التدخين.

. عشرة ملايين (10.000.000)من الأشخاص يتوقع أن يموتوا بحلول عام 2030 جراء إصابتهم بأمراض مرتبطة بالتدخين 70%منهم من الدول المتخلفة.

. حياة غير المدخن مع المدخن تعرضه للإصابة بنوبة قلبية بنسبة 25%.

تقصير وإهمال

وإذا بحثنا عن الأسباب المباشرة لانتشار ظاهرة التدخين، فإننا نجد في الدرجة الأولى إهمال الآباء لأبنائهم وبناتهم، وعدم متابعتهم ورعايتهم. فالمراهقون والمراهقات يجتمعون مختلطين في المقاهي والحانات، ويتسكعون في الشوارع والطرقات، ويهيمون في الدروب والأزقة!! من يتابع أحوالهم؟وأين آباؤهم وأمهاتهم؟ وأين النادي الجاد الهادف الذي يحتضنهم ويعنى بهم ويوجههم إلى رشدهم؟

الإسلام يعنى بالنشء:

إن الشريعة الإسلامية هي أول شريعة عنيت بالطفل، وأما القوانين الوضعية والتنظيمات البشرية فلم تعن به إلا في وقت متأخر:

. فما يسمى بوثيقة إعلان حقوق الطفل الأممية لم تصدر إلا أواخر سنة 1959:1379!!

. وما ألحق به بعد ذلك مما يدعى بالإعلان العالمي لحقوق الطفل لم يصدر إلا عام1409:1969!!

أما الإسلام فقد ضمن للطفل منذ 14 قرنا حقوقه بجملة عظيمة من التشريعات والتوجيهات، فاعتبر أن من حق الولد المسلم على أبويه وعلى أمته ومجتمعه:

. أن تنشئه على الحق والخير والبر والسلامة العقلية والبدنية.

. وأن تحسن رعايته الصحية، وتحرص على وقايته من كل الأخطار والأمراض.

. وأن تحصنه من كل السلبيات والمضرات والمفسدات خلقا وخلقا.

. وأن تصونه من الفتنة واللهو والغفلة والمهالك الدنيوية والأخروية.

الحكم الشرعي:

ونظرا لحداثة موضوع التدخين والأعشاب السامة وما يلحق بذلك مما يلعب بالعقول ويؤثر سلبا على الأعصاب ويهلك الجسم ويتلف الإرادة وينشر التلوث داخل جسم الإنسان وخارجه، فقد ظهر استعمال هذا النبات السام في أواخر القرن العاشر الهجري(16م)، ومنذئذ أخذ يشيع وينتشر تعاطيه بين الناس.

ونظرا لعدم وجود نص قطعي صريح أو حكم سابق في هذه الأمور، ثم لعدم تصور الفقهاء لحقيقة الموضوع ونتائجه تصورا واضحا شاملا لعدم توفرهم في بداية الأمر على دراسة علمية صحيحة.

فقد اختلفوا في حكم تعاطيها اختلافا بينا ليس منشؤه في الغالب اختلاف الأدلة، بل الاختلاف في تحقيق المناط: فهم متفقون على أن مايثبت ضرره على العقل أو البدن للشخص نفسه أو لغيره يحرم تعاطيه. لكنهم مختلفون في حكم تعاطي تلك الأعشاب والحشائش ومشتقاتها على آراء متضاربة:

فمنهم من قال بإباحته، وزعم أن له عدة منافع، وبعض هؤلاء المبيحين فصل فنفى عنه الضرر لكن لم يثبت له أية منفعة، وكلا الزعمين لاوجه له علميا وعمليا وطبيا وتجريبيا، بل هو غلط مفضوح!

. ومنهم من أفتى بكراهيته، وأثبت له مضارا قليلة مقابل منافع مزعومة، وهي عندهم كراهة تنزيه فقط، ولايخفى غلطه كذلك!

. ومنهم من سكت وتوقف ولم يصدر حكما، ولعل هذا كان أحكم من السابقين.

. وأحكم من جميع أولئك من قالوا بحرمته، إذ هو رأي جمهور الفقهاء، وهو أوجه الأقوال وأقواها حجة وأهداها إلى ماتقتضيه روح الشريعة الإسلامية ومكارمها ومقاصد التشريع وأبعاده، من تحريم المضار والفواحش والآثام، وكل ما يؤدي إلى الضرر والفحش والإثم، والله عز وجل يقول: "قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن والإثم والبغي بغير الحق..."، وهو أيضا مايتفق والرأي الطبي والعلمي. وتتأكد الحرمة وتغلظ في حالات:

كأن يثبت بالفعل إضرار التدخين بشخص معين، إما المدخن نفسه، وإما زوجه أو ولده ولو كان جنينا، أو معاشره ومرافقه، والنبي (ﷺ) يقول: "لاضرر ولا ضرار".

أو يكون المدخن ممن يقتدى بهم في العلم والدين ، كالعلماء والخطباء والوعاظ والقضاة والأطباء والمعلمين والمربين..

أو يكون الدخان مستوردا من بلاد تعادي المسلمين وتنفق ثمنها في التقوية على المسلمين أو في مساعدة الأعداء.

أو يصدر ولي أمر المسلمين أمرا بمنع التدخين، إذ إن طاعة الولي واجبة ماأمر بمعروف وخير، ولم يأمر بمعصية أوشر.

أو يكون المدخن محتاجا إلى ثمن السجائر لنفقة عياله أو من تجب عليه نفقتهم شرعا.

وللتحريم علل كثيرة مشروعة ومنطقية ومصلحية:

فمن المعلوم من الدين بالضرورة مبدأ تحليل الطيبات وتحريم الخبائث، والدعوة إلى نبذ كل المضرات وعدم الاقتراب منها. ثم إن الطب والعلم والتحليل والتجريب كل ذلك أثبت أن للتدخين آثارا ضارة على البدن بوجه عام، وعلى القلب والرئتين والجهاز التنفسي والدورة الدموية بوجه خاص، وأنه يؤدي إلى الإصابة بالأمراض التي استعرضناها آنفا، كسرطان الرئة، أو سرطان الحنجرة أو غير ذلك من الأمراض المحققة، مما يؤكد مضار التدخين بما لايحتاج إلى إثبات أو تحليل، و أن الضرر التدريجي هو في حكم الضرر الدفعي الفوري، وكلاهما مقتض للتحريم. ثم الشارع يحرم كل خبيث أو ضار، ويدخل تحت طائلة هذا التحريم ما لا يحصى من المطعومات والمأكولات والمشروبات الخبيثة أو الضارة، فتحمل حكمها الشرعي.

ومن المعلوم من الدين بالضرورة أيضا أن ليس من الضروري أن ينص الشارع على كل فرد من المحرمات، وإنما هناك ضوابط وقواعد تندرج تحتها جزئيات شتى وأفراد كثيرون، فإن القواعد يمكن حصرها، أما الأفراد فلا يمكن حصرها. ولقد ذكر الإمام النووي رحمه الله تعالى في الروضة أن "كل ما أضر أكله كالزجاج والحجر والسم يحرم أكله، وكل طاهر لاضرر في أكله إلا المستقذرات الطاهرات كالمني والمخاط فإنها حرام على الصحيح.. ويجوز شرب دواء فيه قليل من السم إذا كان الغالب السلامة واحتيج إليه".

لهذه العلل يحرم شرعا تعاطي الحشيشة ونحوها من المخدرات، مع عدم وجود نص معين صريح بتحريمها على الخصوص، ويلحق بهذا الحكم تحريم التدخين والنشق وتعاطي جميع أنواع الحشيش والكيف والمخدرات بمختلف أصنافها وأشكالها وأسمائها. وماحرم شرعا تناوله أو تعاطيه حرم كذلك الاتجار فيه ولو نفقت سوقه، وحرم اكتساب الربح منه وإن غزر مردوده، وحرم ادخاره وترويجه والمساعدة على تناوله أو رواجه، لأنه يساعد على إتلاف الحياة وتدمير الإنسان عقلا وجسما وإرادة.

(يتبع)

رواد المدرسة المغربية في قراءة نافع أبو عبد الله ابن القصاب وأبو الحسن القرطبي وابن آجروم

■ إعداد الدكتور: محمد المختار ولد اباه

ابن القصاب وتقريب المنافع

إذا كان كتاب التعريف للداني يعتبر منطلقا للتخصص في قراءة الإمام نافع، فإن أول من رسخ هذا الاتجاه في المغرب هو الإمام أبو عبد الله بن القصاب صاحب كتاب تقريب المنافع في قراءة نافع، وتلت هذا المصنف مجموعة من المؤلفات تناولت كلها مقرأ الإمام أبي رؤيم المدني وتنوعت عناوينها مع الحفاظ على فاصلة أولى ينبه سجعها على موضوع قراءة نافع، فكان منها "البارع"و "تهذيب المنافع"، و"الدرر اللوامع" و "النافع" و "تكميل المنافع"و"القائمة طويلة.

ولاشك أن لابن القصاب قصب السبق في هذا الاتجاه، فتقريبه كان عمده كثير من الذين جاءوا من بعده، فأفاد منه تلميذه ابن آجروم في كتاب فرائد المعاني فنسب إليه في الاستعاذة صيغة قال إنه لم يقف عليها لغيره وهي: أعوذ بالله المنان من الشيطان الفتان، وأعوذ بالله وكلماته من الشيطان وهمزاته، وأستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، كما أفاد منه أيضا ابن المجراد الذي عزاله في إيضاح الأسرار والبدائع أن زيادة المد المنفصل عند قالون أنقص منها في المتصل، ونسب إليه ترجيح الفصل بألف الإدخال في مثل "آانزل"و"آاشهدوا" ليجري الباب كله على نسق واحد.

وتتأكد ريادة ابن القصاب وإمامته حينما ندرك أنه كان أستاذا لثلاثة أساطين في علم القراءات وهم ابن حدادة، وابن آجروم والخراز، وقد ورد التصريح بمشيخته لهؤلاء القراء موثقة.

ففي إجازة البوعناني يذكر أن محمد بن عمر اللخمي أخذ عن حدادة، وحدثه بالقراءات المذكورة عن الشيخ الفقيه الإمام النحوي الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن علي بن عبد الحق الأنصاري المعروف بابن القصاب، وأما ابن آجروم فإنه يقول في كتاب فرائد المعاني عند قول الشاطبي.

ولا مد بين الهمزتين هنا ولا
بحيث ثلاث يتفقن تنزلا

"وكان شيخنا أبو عبد الله محمد بن القصاب يعترض قول الناظم "يتفقن" ويقول: ليست الهمزات في "آامنتم به" وبأنه متفقات والصواب أن يقول "يلتقين".

وفيما يخص الخراز، فيقول عنه ابن آجطا، انه أدرك جلة أئمة في القراءة والضبط وعلم القرآن من العربية وغيرها فقرأ عليهم، وعمدته على الشيخ المقرئ المحقق المتقن أبي عبد الله محمد بن علي ابن عبد الحق الأنصاري المعروف بابن القصاب، ولقد تكرر قول الخراز في شرح البرية عبارة قال شيخنا أبو عبد الله ووهم من يعتقد أنه يقصد ابن آجروم الذي يشير إليه غالبا بقوله: "قال صاحبنا أبو عبد الله".

وابن حدادة هو أبو عمران موسى بن محمد الصلحي المرسي (ت بعد 723)، وورد اسمه مصحفا في فهرس ابن غازي، وكتب ابن جرادة بالجيم والراء، وهو من مشاهير تلامذة ابن القصاب لكنه أخذ أيضا عن المقرئ الكبير أبي جعفر بن الزبير (ت708) وعن إمام النحاة أبي الحسين بن أبي الربيع، وله اختيارات معروفة في القراءات وإن لم يشتهر عنه مصنف فيها معروف، واشتهر من تلامذته محمد بن عمر االلخمي المذكور في أسانيده، إذ يقول الجادري في أرجوزة النافع:

حسبما أخذت عن
شيخي الجليل المؤتمن
محمد ابن عمرا
وغيره ممن درى
عن شيخه أبي الحسن
ابن سليمان وعن
ابن حدادة عن
ابن الزبير المتقن

وهكذا كان لكل من تلاميذ ابن القصاب دور متميز في ترسيخ أركان القراءة في المغرب، فاحتل ابن حدادة مكانته في أسانيد الرواية، واهتم ابن آجروم في فرائده ببيان الأوجه العربية، وجدد الخراز معالم الرسم والضبط لكتابة القرآن في مورد الظمآن.

ومن الغريب أن تلامذة ابن القصاب كانوا أكثر منه شهرة وأوفر حظا في مدونات التراجم، فلمْ يعرف إلا القليل عن حياته ومؤلفاته. وقد أشار إليه ابن الجزري باقتضاب ونقل عن أبي حيان الغرناطي أنه توفي في حدود 690وأنه كان يقرئ القرآن بالقراءات السبع، وأنه يقرئ العربية ولم يذكر له شيوخا ولا أتباعا ولامؤلفات. ولكن الباحث المتعمق الدكتور عبد الهادي حميتو استخرج من إجازة البوعناني الفاسي لتلميذه أبي عبد الله المجاطي، سندا عن طريق محمد بن عمر اللخمي عن ابن حدادة عن ابن القصاب عن شيخه المقرئ أبي الحجاج يوسف ابن الشيخ المقرئ أبي الحسن علي بن أبي العيش الأنصاري عن الشيخين الأستاذين أبي البقاء يعيش بن القديم الأنصاري وأبي عبد الله بن القتوت. وقرأ يعيش على القاضي محمد بن زرقون وأبي الحسن علي اللواتي كلاهما عن أبي العباس الخولاني وقرأ الخولاني على أبي عمرو الداني. وذكر سندا آخر ليعيش يتصل بالإمام محمد بن عيسى المغامي عن الداني ومكي.

وقد عثر الدكتور احميتو على كتابه المعروف بتقريب المنافع، ولاحظ أنه اتبع منهجا تعليميا خاصا، بحيث أنه يورد في كل باب عشرة أسئلة، ثم يبدأ في الإجابة عنها تباعا، ففي البسملة مثلا يقول:

1. ما معنى البسملة؟
2. لأي شيء جيء بها؟
3. ما أحوالها عند القراءة؟
4. كم من وجه يتصور فيها بين السورتين؟
5. أين استحسنها بعضهم؟
6. وما أقسامها؟
7. من أي شيء اشتق هذا اللفظ الذي هو باسم الله؟
8. لم قدم الله على الرحمن الرحيم؟
9. لم قدم الرحمن على الرحيم؟
10. ما مذهب نافع في هذا الباب؟

وهكذا فعل في كل الأبواب المعهودة عند القراء. وهذا وإن كان لايخلو من تصور مصطنع في تحديد عدد الأسئلة فإنه مع ذلك يساعد على تفهم المواضيع بشكل أوضح.

انظر تاريخ القرآءت في المشرق والمغرب

مع القرآن

ماجاء في الفرق بين الكتابة والتعريض

■ إعداد الأستاذ : مصطفى أصبان الحسني / شفشاون

■ إن القارئ لكتاب الزمخشري يقف على تعريفه للكناية إذ يقول: الكناية ذكر شيء بغير لفظه الموضوع له، والتعريض أن تذكر شيئا يدل به على شيء لم تذكره، وعرف ابن الأثير الكناية بقوله : مادل على معنى يجوز حمله على الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما ، والتعريض هو اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازي كقول من يتوقع صلة مثل: والله إني محتاج، فهذا تعريض بالطلب ، حيث يفهم من عرض اللفظ أي جانبه، وقال السبكي الكناية لفظ استعمل في معناه مرادا منه لازم المعنى ، فهي بحسب استعمال اللفظ في المعنى حقيقة، والتجوز في إرادة إفادة مالم يوضع له وقد لا يراد بها المعنى بل يعبر بالملزوم عن اللازم فتكون مجازا وأمثلته قول الله تعالى" قل نار جهنم أشد حرا : فإنه لم يقصد إفادة ذلك ، لأنه معلوم ، وأما التعريض فهو لفظ استعمل في معناه للتلويح بغيره مثل" بل فعله كبيرهم هذا" الفعل نسب إلى كبير الأصنام المتخذة آلهة وكأنه غضب أن تعبد الصغار معه تلويحا لعابديها بأنها لا تصلح أن تكون آلهة ، وقال السكاكي التعريض ماسيق لأجل موصوف غير مذكور ومنه أن يخاطب واحد ويراد غيره وسمي به لأنه أميل الكلام إلى جانب مشارا به إلى آخرة ، قال الطيبي ويفعل ذلك لغايات منها التنويه كقول الله تعالى» ورفع بعضهم درجات، أي محمدا زيادة في إعلاء شأنه وقدره وإما لاستدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم نحو" لئن أشركت ليحبطن عملك، استعمل القرآن مخاطبة النبي وأراد غيره ، لاستحالة الشرك عليه شرعا، وإما للذم كقوله» إنما يتذكر أولوا الألباب، فهذا تعريض لذم الكفار لأنهم في حكم البهائم الذين لا يتذكرون، وإما للإهانة والتوبيخ.

مثل " وإذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قتلت" فحال سؤالها فيها إهانة لقاتلها ، وتلك كلها هي أسرار القرآن واللغة التي أنزل بها على سيد البشر المصطفى المختار . صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار وأصحابه الكرام.

النظرية التربوية في الإسلام موقع الأهداف التربوية من مجالات العمل التربوي

■ الأستاذ : العربي الغساسي

■ يطرح التربويون الكثير من الأسئلة التي تحدد الإجابة عنها مجالات العمل التربوي ، وموقع الأهداف التربوية من هاته المجالات، ومن هذه الأسئلة : من نربي؟ بماذا نربي ؟ كيف نربي ؟ أين نربي؟ إلى مدى يتحقق ما نهدف إليه من تربية؟.

إن تحديد هذه الأسئلة وصياغتها في حد ذاته، مسألة غاية الأهمية، وذلك لأن الإجابة عنها تحدد محتويات التربية ، والوسائل المفيدة للمتعلم، والطرق الجيدة التي يستخدمها المربي، لاستثارة الميول والرغبات. أي أن الأمر يتعلق بالعناصر التي لا ينفك عنها العمل التربوي: المتلقي (طالب العلم) والملقن (المعلم) والمحتوى.

1) من نربي ؟ إن هذا السوال يتطلب الإجابة عن طبيعة الإنسان الذي تتناوله عملية التربية، بالتنشئة والتشكيل. كما يتطلب الإجابة عمن هو أفضل في تربيته، والاهتمام به هل الأفضل أن يتعلم الصفوة دون الجميع؟ أم نعلم الجميع بصرف النظر عن قابليتهم جميعا للتعليم؟ هل نعلم القادرين علي التعليم دون غيرهم؟ هل نعلم القادرين ونعلم ضعاف العقول في نفس الوقت؟

والإجابة عن هذه الأسئلة، تشكل ركنا هاما، من الفلسفة التربوية لأي مجتمع. والتربية بالنسبة للمجتمع الإسلامي هي تربية للجميع،لأنها قائمة على مبدأ هام ورئيسي من مبادئ الإسلام ، وهو المساواة، هي دعوة لتربية المسلمين جميعا ، دون فارق بينهم ، لأي سبب من الأسباب.

ولذلك فإن التربية في الإسلام ،. لا تخضع لنظام طبقي ، فلا يجب أن توجد مدارس للأغنياء وأخرى للفقراء، وبالتالي لا توجد مناهج للأغنياء ، لتخريج من يريدون التحكم والسيطرة على المجتمع . كما لا توجد مناهج أخرى للفقراء لتخريج من يعملون بأيديهم في الحقول والمصانع.

والذكاء في الإسلام ليس وقفا على الأغنياء ، كما أنهم لم يوجدوا ليحكموا ، والغباء ليس من حظ الفقرا، كما أنهم لم يوجدوا ليتعبدوا ، فالذكاء هبة من الله تعالى يمنحها لمن يشاء من عباده.

والتعليم ليس قاصرا على طبقة دون أخرى ، والرغبة في العلم ، والإقبال عليه هو الشرط الوحيد للالتحاق الدرس أو المعاهد العلم.

2 . بماذا نربي؟ والإجابة عن السؤال ، تحدد الوسائل والطرق التي تحقق الأهداف التربوية من خلالها، ما ينشده المجتمع من مفاهيم وقيم ، واتجاهات وخبرات تربوية ، أي أن الأمر مرتبط كل الارتباط بالوسائل والطرق التربوية المختلفة.

إن الفلسفة المادية الصرفة ، تحدد للأجيال طرائق مؤسسة على المنفعة، وعلى الأمور المادية فقط. والفلسفة المثالية ، تحدد لتربية الأجيال طرائق تربوية ، قائمة على المثاليات والمجردات ، والبعد عن الواقع العلمي والتطبيقي.

أما الاسلام، وهو عقيدة توازن بين الجوانب المادية والمثالية ، فإن النظرية التربوية في ظلاله ، اعتمدت هذا التوازن في طرقها التربوية ، فبنتها بناء واقعيا، تحقق عن طريقها أهداف الحياة المادية والمثالية، حيث اعتنت بشخصية المتعلم، وبترسيخ اعتقاداته الصحيحة، وبتكوينه بما يجعل معارفه ومعلوماته سبيلا إلى نضجه ونموه الفكري ، متخذة لذلك الوسائل والطرق والأساليب المتنوعة ، لتحقيق هذا البناء في الواقع الاجتماعي الإسلامي. ومن بين تلك الطرق:

أ . العناية بكامل الذات الإنسانية ، والرقي بها إلى درجة الكمال ، لتكون أهلا للوصول إلى العناصر الجوهرية والحقائق المطلوبة.

ب . الاهتمام بالضروري من العلوم، وتوسعة البحث فيها ، لاستكشاف الأدلة وتفريع المسائل ،، مما يزيد طالبها تمكنا في ملكته ، وإيضاحا لمعانيها المقصودة.

ج. توجيه الطلاب إلى الدراسات التي يميلون إليها ، والتي تؤهلهم استعداداتهم حتى ينجحوا فيها.

د . التدرج في التلقين، وذلك بالارتفاع المتدرج بالمتعلم ، نحو الوصول إلى المطلق وإثباته.

هـ . العناية بالوسائل المعينة للفهم ، وضرب الأمثلة المحسوسة التي تعين المتعلم على الانتقال من المحسوس إلى المعقول حتى يسهل الفهم والإدراك على المتعلم.

و. الاعتماد على الخبرة والتجربة في التعليم ، وذلك بالتركيز على المحاضرة والمناقشة والمناظرة والحوار، والرحلة في طلب العلم.

ز. مراعاة الفوارق الفردية للمتعلمين ، يعني فيها المربي بكل طالب على حدة، ويوجه تعليمه إلى الطالب المنفرد، لا إلى الطلاب جملة، يعتاد الطالب بواسطتها على حسن التفكير ، وجودة التعبير ، والرغبة في التحصيل، والاعتماد على النفس. وفي هذا تلتقي التربية في الإسلام ، مع التربية الحديثة ، التي بدات تأخذ بتفريد العلم، أي بجعل الفرد أساسه وقاعدته ومحوره ، والتي تحارب الاتجاه الذي كان يخاطب الطالب المجرد، لا هذا الطالب أو ذاك.

إن الإسلام وضع الأسس السليمة لطرق تدريس صالحة في مصوغة فريدة ، لازالت التربية الحديثة لم تستوعبها، مصوغة تحترم شخصية المتعلم، وحاجياته، وميولاته ، وتعوده على البحث والتقصي ، والصبر في سبيل المعرفة.

3 . كيف نربي؟ إن الإجابة عن السؤال تحدد الأساليب التربوية المختلفة التي يستدعيها النظام التربوي، من معارف ومهارات ، واستعداد ، وتكوين ، لتحقيق الأهداف التربوية، أي أن الأمر مرتبط بالإطار الذي يربي الأجيال ، وهو الملقي أو المعلم.

إن المعلم في الإسلام ، هو ذلك العالم الذي حصل علما غزيرا بفضل تفقهه في الدين، وحفظه للقرآن الكريم. وهو الذي يومن بالإسلام إطارا للحياة ، وموجها للسلوك، فما هو دوره في التربية ؟ وما جوهرية أعماله؟ وماهي استعداداته للقيام بمهمته؟.

للمعلم دور أساسي ، يحدد نطاق رسالته التربوية كمرب، ومنشئ للأجيال ، ومعد لهم على توقعات المستقبل ومتغيراته. وهذا يفرض عليه الاتصال بالكثير من الصفات ، والتميز بالعديد من السمات التي من أبرزها: القدوة ، والاستعداد، والتكوين.

1 . القدوة : إن المعلم في النظرية التربوية في الإسلام، هو القدوة الذي يجسد صورة المنوذج المثالي للشخصية الإنسانية في الإسلام، الذي سعت التربويات عموما إلى صياغته، فهو الذي يتأثر المتعلمون- وهم في تلك السن الصغير. بمنظره وشكله، وحركاته وسكناته، وإشاراته وإيماءاته ، وألفاظه التي تصدر عنه، وسلوكه الذي يبدو منه، وشخصيته لها أثر عظيم في عقول المتعلمين وفي نفوسهم.

ومما يؤيد تأثير الصبيان بشخصية المعلمين، ما رواه الجاحظ من كلام عمروا بن عتبة بن أبي سفيان ، لمؤدب ولده قال : ليكن أول إصلاحك لولدي ، إصلاحك لنفسك، فإن عيوبهم معقودة بعيبك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت:(البيان والتبيين: الجزء الثالث صفحة 53) ، وتأكيدا على كون المعلم قدوة لطلابه ، ننقل قول ابن حبيب :" بسم الله أما بعد، فلتكن أول ما تؤدب نفسك، فإن عيني متعلقة بهم ، وأعينهم متعلقة بك ، فالحسن عندهم ما استحسنته ، والقبيح عندهم ما استقبحته" (ابن جماعة: جماعة جوامع التحصيل).

فقد كانوا يعلقون أهمية على شخصية المعلم في تأديب المتعلم، فأخلاقه وتصرفاته خير مؤدب لهم، وقد قالوا:" التعليم بالمقابل ، والتأديب بالفعال" قال الإمام الغزالي:" فصلاح التلميذ بصلاح معلمه، وأفعاله تؤثر أكثر من أقواله" (إحياء علوم الدين الجزء الأول صفحة 52).

2 . الاستعداد : إن الرسالة التعليمية موجهة بالأساس للإنسان، وليس الإنسان على حال واحدة، فمنه الضعيف ومنه القوي ، وهي حالة المتمدرس في فصله، مما يقتضي أن يكون المعلم اجتماعيا، ذا حس بالفوارق الاجتماعية، متحملا لما يلاقيه من متاعب ومصاعب، مساعدا في إحقاق الحق ، وهذا يتطلب:

أ. عدم التطفل في علم لا يتقنه، ولايتصدر لتدريسه إلا إذا أحكمه تمام الإحكام، والرقيب على المعلم في ذلك ضميره، وينبغي أن يتعظ لزجره، حتى لا يكون علمه وبالا على الناس ، ويضللهم به.

ب . الالتزام عمليا بمضمون المادة العلمية المدروسة بهدف تحقيق القدوة في نفوس المتعلمين على المستوى السلوكي والأخلاقي.

ج. الالتزام بأدب تعليم العلم، فإن واجب المعلم إكساب طلابه حسن الخلق، إلى جانب العلم والمعرفة. ولن يستطيع المعلم ذلك مالم يكن مستعدا له. وأهلا لكل خصلة حميدة.

وإننا نجد ابن سحنون يسير في هذا الاتجاه، إذ يطالب بشرط الاستعداد عند المتعلم، وهو لا يقف عند هذا الحد، بل نجده يلفت الانتباه إلى أداء العمل بصورة جيدة ، ينتهي بمكافأة الفرد صاحب العمل، وهي مكافأة لا ترتقي إليها مكافأة أخرى(ابن سحنون : كتاب آداب المعلمين صفحة 27).

3) التكوين: إذا كنا نسلم بأن كل من ينوي إتقان عمل معين يحتاج إلى شيء من التدريب أو التكوين ، وأن هذا التكوين يزداد أو يصبح أكثر تعقيدا، بازدياد درجة تعقيد ما يراد إنجازه فإننا ندرك ضرورة تدريب المعلم وتكوينه ، لأنه نقطة الانطلاق في بناء شخصيته كمعلم، وكإنسان عليه تبعات ومسؤوليات، ومهام الحياة التربوية بوجه خاص.

إن المعلم الناجح هو الذي يدرك تمام الإدراك أن عمله الرئيسي ، هو إبلاغ المتعلم إلى كماله الإنساني، وهو الذي له الميل الكامل للتدريس، وحب المهنة التربوية ، والإلمام بمادته وتبسيطها، ونقلها للمتعلمين، وهي مهارة مهنية ، تتعلق بطرق التدريس وأساليبه ، والتقويم والتوجيه، وفوق ذلك كله حبه لتلاميذته، وتعاطفهم معه، واهتمامه بهم ، وبذل الجهد من أجل مساعدتهم.

إنه باختصار ، لا يقوم بعمل واحد، ومادام الأمر كذلك ، فإن تكوينه قضية هامة في مجال التربية ، وفي مجال العمل المدرسي ، والإعداد الجيد له مسألة حتمية لتحقيق أهداف التربية في تكوين الإنسان البشري في حياة الجماعة وفي حياة البشر.

إن عمل المعلم في الإسلام رسالة. وهو لا يوحي إليه بوحي جديد. وإنما هو مدعو لأن يترسم خطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في رسالته، وأن يعلم في إطار هذه الرسالة، ويحفز بحوافزها، ويتخلق بأخلاقها ، ويتمثل بمثاليتها.

وصفات القدوة، والاستعداد، والتكوين، هي صفات اتسم بها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسلف الصالح، والمربي الذي يتحلى بهذه الصفات ، فمن أي وجه من الوجوه، فإنه ينشر علما ، والعلماء ورثة الأنبياء.

4) أين نربي؟ هذا السؤال هو عن مكان التعليم وموقعه ، هل يقتصر التعليم على المدرسة أم يمتد مكانه ليشكل كل موقع في الحياة؟ هل تصلح التربية في مكان مغلق كالفصول الدراسية، أم أنها تحتاج إلى أماكن منطقلة بلا قيود ، في الفناء، في الحقل في المصنع...

يدور الجدل اليوم حول فلك المدارس، وحول مدارس بلا جدران . الذين يؤيدون يرون أن التعليم ينبغي أن يكون مطلبا من مطالب المتعلم ، يسعى إليه ويحصل عليه من كل مكان ، من الأندية، من المكتبة، من القراءة والتعلم الذاتي. والمحافظون يرون أن الانتظام في المدرسة التقليدية أمر حتمي ، حافظت عليه الأجيال طوال تاريخ طويل ، وعلينا أن نحافظ عليه كذلك، حتى نسلم الأمانة كاملة إلى من بعدنا ، كما تسلمناها ممن قبلنا، وحجيتهم في ذلك الحفاظ على الانضباط وعلى الموروثات العلمية والفكرية.

والحل لكل هذا الجدل نجده أيضا في الإسلام ، فلقد حافظ على النمطين، وأدرك الهدفين، فانفتحت التربية في أحضان الإسلام على الحياة كلها بكل معنى، وعانقت الواقع البشري، والواقع البيئي بكل أبعادهما، وتفاعلت معهما بكل دقائقها.

فقد تجسدت هذه التربية في عملية ابتدأت بالمسجد، وساحات التدريب العسكري ، وحلقات العلم والدرس، وممارسة الجهاد الحربي، والجهاد النفسي، والتبعية في مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، واستمرت في مدارس نظامية ، نلحق بالمساجد، ثم تطورت في مراحل تعليمية ، إلى أن وصلت إلى تعليم عال، مثله فيما بعد ، جامعة القرويين في فاس ، والأزهر في القاهرة، والزيتونة في تونس ، وجامعات أخرى على امتداد العالم الإسلامي ، وأثرت هذه التربية تأثيرا فعالا في بناء المجتمع الإسلامي، والأمة الإسلامية، كما أثرت في مفاهيم العالم فيما بعد ومازالت وستظل تؤثر إلى أن يرث الله الأر ض ومن عليها .

أولوا العزم من الرسل

سيدنا موسى عليه السلام

■ الأستاذة: نبوية الناصري

نسبه:

هو عبد الله ومسيحه، وكلمته التي ألقاها إلى مريم، وروح منه ونبيه ورسوله، وأمه مريم العذراء بنت عمران العالم الإسرائيلي إمام وخطيب بيت المقدس، وهو آخر أنبياء الله ورسله من بني إسرائيل. وقد ذكره الله تعالى في القرآن الكريم تارة باسمه عيسى، وتارة بكنيته الكريمة "ابن مريم" تعظيما لشأن أمه، وتارة بلقبه السمح وهو المسيح إعلاء لقدره بين قومه اليهود الجاحدين.

مولده:

ولد عيسى عليه السلام بقرية بيت لحم، القريبة من بيت المقدس بفلسطين، أيام الملك هيرودوس ملك اليهود التابع لقيصر أوغسطس ملك الروم، وكان ذلك قبل مولد النبي محمد عليه الصلاة والسلام بمدة 571سنة.

والحديث عن نبي الله عيسى عليه السلام يستعدي الحديث عن أمه مريم، بل وعن ذرية آل عمران التي اصطفاها الله تعالى واختارها، كما اختار آدم ونوحا وآل إبراهيم على العالمين، جاء في سورة آل عمران: (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين)الآية:33.

آل عمران أسرة مكونة من عمران والد مريم، وامرأة عمران أم مريم، وعيسى عليه السلام إبن مريم. وكان عمران صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه، وكانت زوجته إمرأة عمران صالحة كذلك، وكانت لاتلد، فدعت الله أن يرزقها ولدا،و نذرت أن تجعله مفرغا للعبادة ولخدمة بيت المقدس. فاستجاب الله دعاءها، ولكن شاء الله أن تلد أنثى هي مريم، وجعل الله كفالتها ورعايتها إلى زكريا عليه السلام، وهو زوج خالتها، وإنما قدر الله ذلك لتقتبس منه علما نافعا وعملا صالحا. جاء في قوله تعالى : (إذ قالت إمرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم، فلما وضعتها، قالت رب إني وضعتها أنثى، والله أعلم بما وضعت، وليس الذكر كالأنثى، وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا)سورة آل عمران/الآيات:35.36.37.

ومثل عيسى مثل آدم خلقه من تراب وقال له كن فيكون، وهو الذي بشر بالنبي محمد (ص) كما جاء في سورة الصف: (وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي إسمه أحمد)الآية:6.أتاه الله البينات وأيده بروح القدس وكان وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين، قال تعالى في سورة ال عمران: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)الآية:59.

جاء المسيح إلى الدنيا ليعلمها التسامح والمحبة والسلام ولكن اليهود رفضوه لأنه جماع فضائل لايطيقونها ومشرق عصر عظيم لايسمح بنقائصهم بالازدهار.

نشأة مريم عليها السلام:

نشأت مولاتنا مريم على العبادة والتقوى وكانت تقوم على خدمة بيت المقدس الذي كان يخطب فيه والدها عمران الإسرائيلي قبل وفاته. وكانت هي وابن عمها يوسف النجار الشاب الصالح يسقيان الماء للرواد والمصلين. وأسبغ الله تعالى عليها من فضله ونعمه مما لفت أنظار الاخرين، فكان زكريا عليه السلام كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا فيسألها من أين لها هذا فتجيب: (قالت هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)سورة آل عمران/الآية:37. وكانت ملائكة الرحمن تأتي إليها حينما تنفرد في خلوتها وهي تتعبد فتخبرها باصطفاء الله تعالى لها، وتطهيرها من الأرجاس، وتحثها على الاجتهاد في العبادة والقنوت.

كل ذلك إنما كان تمهيدا للمعجزة العظمى، حيث سيولد عيسى عليه السلام من هذه المرأة الطاهرة التقية، دون أن يكون له أب كسائر الخلق. قال تعالى في سورة آل عمران: (وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين)الآية:42. بهذه الكلمات فهمت مريم أن الله يختارها لأمر، وعادت الملائكة تحدثها: جاء في قوله تعالى: (يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين)سورة آل عمران/الآية:43. كان الأمر الصادر أن تزيد من خشوعها وسجودها وركوعها لله.

وأتتها الملائكة بالبشرى: (إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين، ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين)سورة آل عمران/الآيتان:45.46.

جاءها جبريل عليه السلام وهي في المحراب على صورة بشر في غاية الجمال فخافت مريم، ويروي الله تعالى في القرآن الكريم قصة ولادة عيسى عليه السلام فيقول: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا، فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا، قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا، قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا، قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا، قال كذلك قال ربك، هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا)سورة مريم/الآيات:16.17.18.19.20.21.

بعد ولادته عليه السلام، نظرت إليه حزينة على ماينتظرها من أمر، سمعته يطلب منها أن تكف عن حزنها، وطلب منها أن تهز جذع النخلة لتأكل من ثمرها، وتمتلئ بالسلام والفرح ولاتفكر في شيء. جاء في قوله تعالى عن سيدنا عيسى مخاطبا أمه وهو في المهد: (فناداها من تحتها ألا تحزني، قد جعل ربك تحتك سريا، وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا، فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا)سورة مريم/الآية:26.

رجوع مريم بعيسى عليه السلام إلى قومها:

لما اطمأن قلبها وقويت روحها، قامت معتمدة على الله وعلى ذراعيها وليدها ومعها ابن عمها وراعيها يوسف النجار، فتوجهت إلى أهلها وهي تدعو الله أن يعينها عليهم ويلهمها الإجابة المقنعة لهم. وهنا كلمها وليدها عيسى فقال لها أبشري يا أماه إني عبد الله ومسيحه ولا تخافي الناس فإن الله معك.

وما أن سمع الناس بأمر مريم وولادتها العجيبة، وزاد عجبهم أنها من بيت صالح وعائلة تقية، وأنها هي بالذات عابدة صالحة من أبوين كريمين حتى هرعوا زرافات ووحدانا إلى منزل أهلها، وجاء كهنة اليهود يسألونها:(ياأخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا، فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا)سورة مريم/الآيتان:28.29، ولكن زكريا عليه السلام قام من فوره ووجه كلامه للصبي عيسى وقال له: "إنطق بحجتك ان كنت أمرت بها فنطق عيسى عليه السلام فقال: "إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا، وجعلني مباركا أين ماكنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا،وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا، والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا)سورةمريم/الآيات:30.31.32.33.

لم يكد عيسى ينتهي من كلامه حتى كانت وجوه الكهنة والأحبار ممتقعة وشاحبة، كانوا يشهدون معجزة تقع أمامهم مباشرة، هذا الطفل من غير أب يقول إن الله قد آتاه الكتاب وجعله نبيا.. هذا يعني أن سلطتهم في طريقها إلى الانهيار. سيصبح كل واحد فيهم بلا قيمة عندما يكبر هذا الطفل. ثم إن مجرد مجيء المسيح، أي بعثة هذا الصبي بدين جديد يعني إعادة الناس إلى عبادة الله وحده، وهذا معناه إعدام الديانة اليهودية الحالية، فالفرق بين تعاليم موسى وتصرفات اليهود كان يشبه الفرق بين نجوم السماء ووحل الطرقات. فتكتم رهبان اليهود قصة ميلاد عيسى وكلامه في المهد، واتهموا مريم العذراء ببهتان عظيم.

ومن جهة أخرى علم هيرودوس ملك بني إسرائيل بولادة عيسى العجيبة وكلامه العظيم في المهد، فخاف على نفسه وملكه ومجده. فأخذ يعمل جهد طاقته على قتله قبل أن يكبر.

رحيل عيسى ومريم إلى مصر:

أوحى الله إلى مريم أن الحقي بمصر، فإن هيرودوس إذا ظفر بابنك قتله، فإذا مات هيرودوس فارجعي إلى بلدك، ورافقها ابن عمها يوسف النجار إلى مصر، وهي الربوة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم في سورة المؤمنون:(وجعلنا ابن مريم وأمه آية وءاويناهما إلى ربوة ذات قرار معين)الآية:50، فأقامت مريم بابنها بمصر اثنتي عشرة سنة، وكانت تعيش من صناعتها لغزل الكتان والصوف.

خواطر وتأملات

■ محمد الخضر الريسوني

أي دور للبلديات والجماعات لاحترام القانون ونظافة المدينة؟

تعرف مدينتنا حركة دائبة تهدف إلى توسيع شوارعها وترصيفها من جديد، والحرص على تنظيفها ، إلا أن ما يلفت الانتباه هو عدم احترام القانون أمام السرعة الجنونية للسيارات في هذا الشارع أو ذاك دون أي اهتمام وانتباه للقانون الذي يحدد السرعة داخل المدن بأربعين كيلومترا في الساعة، وقد نتج عن تهور السائقين المتسرعين ان سائقا في هذه الأيام كان يقود سيارته بسرعة بشارع الحسن الثاني دهس طفلا في الثانية عشرة من عمره كان يحاول عبور الطريق.

بالنسبة للنظافة أجد نفسي أحيانا وأنا أمر في شارع أو في زقاق أو حديقة أتساءل أين المحافظة على النظافة؟ لماذا لا تنتبه مصالح الأشغال العمومية للحفر الخطيرة في الطريق العام فتصلحها حرصا على سلامة المارة والسائقين؟ ومنذ أيام دق باب بيتي عمال يرتدون بذلات زرقاء، قال لي أحدهم:

. نريد المساعدة .. إننا عمال النظافة..

. أجبته:

. وأين النظافة ؟ ألا ترون أنها منعدمة في حينا؟

إن مدينتنا لن تصبح نظيفة إلا بعد التعرف على الذوق العام، والذوق هو المعيار الذي يجعلنا نحس بالجمال ، وبواسطته نعرف مستوى الوعي والتحضر في مجتمعنا، والمسؤولون في البلديات وفي الجماعات هل يعوزهم الذوق؟ فهل هم عاجزون عن توفير النظافة في المدن وفي القرى التي يمثلون سكانها؟ هل هي عملية نظافة المدينة المغربية تحتاج إلى خبرات أجنبية ؟ ألا يجب فرض النظافة من موقع السلطة والقانون ؟ ألا يمكن تطبيق النظافة على أحياء مدينتنا وأزقتها حيا .. حيا بالتدريج بدءا بالأحياء التي يصعب فيها تطبيقه ما دام النجاح والاصرار على النظافة في منطقة أو شارع ما سوف يعزز نجاح التجربة في كل مرافق المدينة؟وهل تم إلزام المواطنين أنفسهم بالنظافة ؟ يستوي في ذلك أصحاب العمارات والسكان وأصحاب الدكاكين والمحلات التجارية ؟ ألا يكون الإصرار على النظافة ذا أهمية كبرى في تربية المواطنين وتذكيرهم بأن الرسول عليه السلام يعلم المسلمين النظافة وحتى باستعمال السواك لتنظيف الأسنان، أو نتأمل حكمة الوضوء خمس مرات في اليوم.

لقد كان رسول الله يؤكد على النظافة ، وعلى آداب السلوك وعلى خفض الصوت ، واحترام الجيران بعضهم لبعض وخاصة بعد أن أصبح كل ساكن في شقة أو بيت لا تهمه إلا نفسه وشقته، بينما المرافق المشتركة مع جيرانه لا تلفت انتباهه على الإطلاق ، فالسلم والمصعد ومدخل العمارة ومصابيح النور كل ذلك لا صلة له بها، بل انك تجد ساكنا يلقي بالقاذورات بباب العمارة أو يقذف بها من النافذة ، وكم من عمارات لم يمض على بنائها إلا سنوات قليلة أصبحت بسبب الإهمال وانعدام النظافة بنايات وسخة متقادمة لقد حدثني زميل يسكن في عمارة قريبة عن تأسيس ودادية للسكان يكون اهتمامها بالأساس منصبا على تنظيف العمارة ، وإصلاح المصعد، وفي البداية كانوا متحمسين للمشاركة المادية لإنجاح مشروعهم، لكن مع الأيام أخذوا يحكون ظهورهم ويتهربون من أداء الواجبات. وتعطل المصعد ، وانطفأ النور.. مع أنه من بينهم عجزة ومرضى لا يمكنهم الصعود إلى الطابق الخامس أو السادس بدون مصعد.. كان فقط يلزمهم مائة درهم .. مع ذلك بخلوا ،ورفضوا الالتزام بدفع المبلغ لشراء وسائل النظافة وصيانة المصعد وإصلاح الكهرباء .. فهم داخل العمارة يعيشون دون احترام حق الجار ولا يعنيهم بالمرة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه.

مفهوم القاعدة عند الشاطبي

■ الأستاذ عبد الحميد العلمي

■ أستأذن قبل البحث في مفهوم القاعدة عند الشاطبي أن أعرج على ورد عند أهل الاختصاص بشأنها.

فالقاعدة تطلق في اللغة على أصل الشيء و الأساس الذي ينبني عليه غيره حسيا كان أم معنويا . جاء في كتاب العين للفراهدي (ت 175هـ): القواعد : أسس البيت، الواحدة قاعدة.

قال ابن دريد (ت 321هـ) " قواعد البيت: أساسه وأصول حيطانه ، الواحدة قاعدة. وقال عرفها شارح المحلى على جمع الجوامع بأنها: قضية كلية يتعرف منها أحكام جزئياتها.

وعرفها الكمال بن الهمام (ت861هـ) بأنها " قضية كلية كبرى لسهلة الحصول أما المقرى (ت758هـ) فقال في تعريفها: إنها " كل كلي هر أخص من الأصول وسائر المعاني العقلية العامة وأعم من العقود وجملة الضوابط الفقهية الخاصة.

وعقب أبو العباس أحمد المنجور(ت995هـ) في شرحه على منهج أبي الحسن على الزقاق (ت 912 هـ) على تعريف المقري بقوله":" لا يقصد القواعد الأصولية العامة ككون الكتاب أو لسنة أو الإجماع أو القياس حجة، وكحجية المفهوم والعموم وخبر الواحد ، وكون الأمر للوجوب والنهي للتحريم ونحو ذلك، ولا القواعد الفقهية الخاصة كقولنا:" كل ماء لم ليغير أحد أوصافه طهور... وإنما المراد ما توسط بين هذين مما هو أصل لأمهات مسائل الخلاف ، فهو أخص من الأول وأعم من الثاني.

وفي هذا إشارة إلى إمكان التمييز فيها بين مراتب تتفاوت درجاتها بحسب نوعها ومصدرها ، وكليتها وشمولها واطرادها، وقد اعتبر الزركشي (ت794هـ إن الإلمام بها يجعل الفقيه يرتقي :" إلى الاستعداد لمراتب الجهاد وهو أصول الفقه على الحقيقة.

أما عن تعريفها عند الشاطبي : فإنه بحكم تجربتي في بحث معاني بعض المصطلحات الواردة عنده أيقنت أن لا سبيل للتوصل إلى مفهوم القاعدة إلا باستقراء موقعها وتتبع سياقاتها.

وقد تحصل لي من ذلك أن لفظ القاعدة اسم جامع لأنواع تتجاذبها استعمالات منها.

. إن القاعدة بمعنى القضية الكلية التي يحكم بها على أفرادها الجزئية سواء كانت أصولية كقوله :" العمل بالمنسوخ مع العلم بالناسخ باطلا بلا خلاف . أم فقهية كقوله:" الضمان يستلزم تعيين المثل أو القيمة في الذمة.

. إن القاعدة بمعنى الدليل القضية الكلية التي يحكم بها على أفرادها الجزئية سواء كانت أصولية كقوله:" العمل بالمنسوخ مع العلم بالناسخ باطلا بلا خلاف . أم فقهية كقوله :" الضمان يستلزم تعيين المثل أو القيمة في الذمة.

إن القاعدة بمعنى المعلومات والعزائم الراجعة إلى جوامع لفظية مثل قوله تعالى:" ألا تزر وازرة وزرة أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى " وكقوله صلى الله عليه وسلم :" لا ضرر ولا ضرار .

إن القاعدة بمعنى الدليل كالذريعة والاستحسان وغيرهما. جاءفي الموافقات:" فقاعدة الذرائع تقوى هاهنا إذا ثبت القصد إلى الممنوع.

. إن القاعدة بمعنى المجموع المحصل من استقراء الآحاد الجزئية ك " القواعد الكلية من الضروريات والحاجيات والتحسنيات ".

. إن القاعدة بمعنى الأصل الكلي العام، سواء كان راجعا إلى أصول الفقه أم غيره. جاء في الموافقات :" إن المراد بالأصول : القواعد الكلية سواء كانت في أصول الدين أو أصول الفقه أو غير ذلك من معاني الشريعة الكلية لا الجزئية .

وغير هذا كثير إلا أن هذه الكثرة وإن كانت متسعة، فهي غير مانعة من دخول إطلاقات أخرى قصدها صاحب الموافقات.

ومن خصائص هذه القواعد بالإضافة إلى كليتها : إفادتها القطع:" لاستنادها إلى الأدلة القطعية . ومن خصائصها أيضا: العموم والأطراد فـ " إذ ثبتت قاعدة عامة أو مطلقة فلا تؤثر فيها معارضة قضايا الأعيان ، ولا حكايات الأحوال لأن " قضايا الأعيان جزئية والقواعد المطردة كليات.

وجامع تلك الخصائص أن أخذ القاعدة بمفهومها الكلي العام لا يستقيم إلا بالاستقراء الجامع لأجزائها.

ولما كانت طريقة الشاطبي في الاستقراء تكتفي بما هو أغلبي أكثري نبه على أن ما يؤدي إليه كذلك " فاعتبرت هذه القواعد كلية عادية لا حقيقة، وعلى هذا الترتيب تجد سائر القواعد الكلية.

ومما انبنى على مذهبه في كلية هذه القواعد :

. ذهابه إلى " أن القواعد الكلية هي الموضوعة أولا، والذي نزل بها القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، ثم تبعها أشياء بالمدينة كملت بها تلك القواعد التي وضع أصلها بمكة.

. ميله بمقتضى تعلقها بالأصول الشرعية إلى قلة ورود النسخ فيها فلما تقرر أن المنزل بمكة من أحكام الشريعة هي ما كان من الأحكام الكلية والقواعد الأصولية في الدين على غالب الأمر اقتضى ذلك أن النسخ فيها قليل لا كثير.

. ذهابه بمقتضى تعلقها بالكليات الأساسية في الدين إلى إنكار وقوع التشابه فيها بناء على أنه " لا يقع في القواعد الكلية وإنما يقع في الفروع الجزئية.

عن كتاب :
منهج الدرس الدلالي عند الإمام الشاطبي.

الخبر عن خطباء القرويين في الدولة الموحدية والدولة المرينية العبد الحقية

■ للعلامة: علي بن ابن زرع الفاسي

الحلقة الثانية

■ وكان قد استخلف في مرضه الفقيه أبا محمد القضاعي معلمه للكتاب العزيز ، فلما توفي قام أبو محمد القضاعي يؤم ويخطب عوضا منه، فانتقد عليه وطعن فيه بعض الفقهاء والأشياخ، وقالوا : يبعث الصبيان إلى النفائس ، فكتب الفقيه أبو محمد بن قصير إلى أمير المؤمنين بخبره فقال لهم : إن الذي قدمه للصلاة أقر بين يدي أنه خير منه ، فاتركوه على حاله فحينئذ ترك الفقيه أبو محمد القضاعي المكتب واعتكف بالجامع، وسكن الدار المحبسة على« الأئمة إلى أن توفي رحمه الله يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة خمس عشرة وستمائة.

فخطب بعده الفقيه الصالح الورع محمد بن عبد الرحمان الشبلي، وكان من أهل الدين والعلم والفضل، وكان له صوت حسن ، ومعرفة بالأوقات والنجوم ، وفي مدة إمامته جاء الفقيه المؤذن يوسف بن محمد بن علي السقطي من قصر كتامة. وكان له صوت حسن في الأذان والإقامة ومعرفة بالأوقات، فأمر الفقيه القاضي يوسف بن عمران الخطيب محمد الشبلي أن يتركه يخطب يوما واحدا ليشتهر بذلك ويرتسم في زمام الخطباء ، فتمارض الشبلي وخطب في موضعه، وكان يخطب بجامع القصبة إذا مرض خطيبها ، وتوفي الفقيه محمد الشبلي في سنة تسع وعشرين وستمائة.

فخطب بعده الشيخ الفقيه الورع أبو محمد عبد الغفار نحو ستة أشهر وتأخر.

فخطب بعده الشيخ الفقيه الورع المبارك المجاب الدعوة، الحاج محمد المدعو بالخطيب المزدغي وقيل اسمه يوسف، وكان مجاب الدعوة إلى أن توفي في سنة خمس وثلاثين وستمائة.

فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح المبارك علي بن الحاج إلى أن توفي في سنة ثلاث وخمسين وستمائة.

فولى بعده الشيخ الإمام العالم المجتهد المشاور الصالح الورع محمد ابن الشيخ الحاج الصالح المبارك المبرور يوسف المزدغي نفعنا الله به.

فقدم ولده الفقيه الصالح الزاهد المبارك(أبا القاسم) للخطبة وبقي هو للإمامة .، ولما دعي للإمامة استرجع ثلاث مرات ، فقيل له في ذلك ، فقال: أخبرني الشيخ الصالح الحافظ المحدث أبو ذر الخشني وأنا أروي عليه كتاب الأحكام يوم توفي الإمام موسى المعلم وولى القضاعي نظر إلي مليا ثم قال لي: يامحمد ، إنك تلي أمر الصلاة بالناس في جامع القرويين ، وذلك في آخر عمرك، فلما دعيت للإمامة تذكرت مقالة الشيخ ، وعلمت أن أجلي قد قرب ، فاسترجعت ، فأقام الفقيه محمد المزدغي إماما وولده أبو القاسم خطيبا إلى أن توفي الإمام محمد المذكور ، فولى الإمامة بعده الشيخ الفقيه الصالح الزاهد الورع علي بن حميد ، ثم توفي الخطيب أبو القاسم المزدغي المذكور ، فتولى مكانه الفقيه محمد بن زيادة الله المزني إلى أن توفي ، وتوفي الإمام علي ابن حميد المذكور ، فقدم فقهاء المدينة وأشياخها الشيخ الفقيه الصالح المبارك ، قارء الكتاب بالجامع المذكور، أحمد بن أبي زرع إماما، والشيخ الفقيه الصالح الورع الفاضل أبا القاسم بن مسونة خطيبا مدة من سبعين يوما، فوصل ظهير كريم من قبل أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق بتقديم الشيخ الفقيه الصالح المبرور ، محمد بن أيوب (أبي الصبر) إماما وخطيبا فلم يزل كذلك إلى أن توفي رحمه الله في سنة أربع وتسعين وستمائة.

فقدم أمير المسلمين يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ورضي عنهم بعد للإمامة الشيخ الفقيه المحدث الورع أحمدَ ابنَ الفقيه العالم المرحوم أبي عبد الله ابن راشد إمام عصره في علم الأصول والاعتقادات، وقدم أيضا للخطبة الفقيه المحدث الصالح الفاضل المبارك يحيى (أبوا الحسن) ابن الشيخ الفقيه الخطيب المرحوم محمد (أبو القاسم) المزدغي، فبقي أحمد ابن راشد إماما بالجامع المذكور نحو ثلاثة أعوام ثم أخر، واستبد الفقيه يحيى المزدغي بالإمامة والخطبة إلى أن كبر سنه وضعف عن الخطابة، فقدم للخطابة ولده الفقيع الفاضل الصالح المبارك أبو الفضل، أبقى الله بركتهم بمنه وفضله، إنه كريم مجيب.

■ **عن كتاب الأنس المطرب بروض القرطاس**

قضايا العقيدة الأشعرية وما أثير حولها من نقاش 2/2

■ إعداد الأستاذ :حسن اللويزي
/عضو المجلس العلمي / سطات

5. أصول العقيدة السلفية

العقيدة لغة: العقد ، الجمع من أطراف الشيء ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء ثم استعير للمعاني كعقد الزواج والبيع، قال تعالى (أوفوا بالعقود) وقوله:(رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي).

والعقيدة جمع عقائد وهو ما عقد عليه القلب والضمير وما تدين به الإنسان واعتقده، قال عليه السلام (الخيل معقود في نواصيها الخير).

واصطلاحا : هي مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل، والسمع والفطرة يعقد عليها الإنسان قلبه، ويثني عليها صدره جازما بصحتها وثبوتها، وذلك كاعتقاد الإنسان بوجود الله وعلمه وقدرته وقضائه وقدره/ قال عز وجل (قل هو الله أحد الله الصمد).

يقول عبد الواحد ابن عاشر : في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك.

وقد أضاف الناظم العقيدة إلى الإمام الأشعري أنه واضع علم العقائد ، كما أضاف الفقه إلى مالك، لأنه إمام الفقهاء وقدوتهم. والعقيدة السلفية هي التي وافقت سنةرسول الله وقد عقد الإمام مالك رحمة الله عليه في موطئه سماه (كتاب البيعة) التي شرعها رسول الله هي البيعة على العقيدة الصحيحة ، فبيعة الأنصار التي كانت في العقبة لم تكن إلا لحماية رسول الله ما يحمون أنفسهم وأولادهم في تبليغ رسالته ومحو الشرك وآثاره ونشر العقيدة الصحيحة السماوية التي جاءت من اللطيف الخبير نقية طاهرة في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون، فالبيعة لا تكون إلا لإمام المسلمين وخليفتهم.

روى الإمام مالك عن عبد الله بن دينار أن عبد الله بن عمر قال :(كنا إذا بايعنا رسول الله على السمع والطاعة ، يقول لنا رسول الله(فيما استطعتم).

فالسمع والطاعة لله ولرسوله في أحكامه ، ومن يبلغ عن الله وعن رسوله ، ويقم شرع الله ، ويقم العدل بينهم والصلوات فيهم ويأخذ منهم الزكاة والحج والجهاد...

وروى مالك عن محمد بن المنكر عن أميمة بنت رقية أنها قالت:(أتيت رسول الله في نسوة بايعنه على الإسلام فقلن : يارسول الله نبايعك ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيك في معروف فقال رسول الله: (فيما استطعتن فقلن : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا نبايعك يارسول الله، فقال رسول الله إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة.

فالحديث الأول يهمنا منه بيعة النساء على التوحيد والعقيدة وأن النبي كان يبايع الرجال والنساء على التوحيد وهكذا خلفاؤه من بعده فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما جاؤوا إلا لإقامة التوحيد، قال تعالى» وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون» سورة الأنبياء / الآية 25.

وروى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أن رسول الله قال:(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه ، كما تنتج الإبل من بهيمة جمعاء ، هل يحس من جدعاء قالوا يارسول الله أرأيت الذي يموت وهو صغير قال: (الله أعلم بما كانوا عاملين).

والذي يظهر أن الحديث يعني أن الله خلق الإنسان وأعطاه من الاستعداد للتعرف به والاستقامة على دينه مالم يعطه للبهائم والحيوانات ، فلهذا يجب أن نستغل أولادنا وأبناءنا في تعليمهم العقيدة الصحيحة التي وجدوا من أجلها قال تعالى» وماخلقت الجن والانس إلا ليعبدون" سورة الذاريات الآية :56.

فاستعداد الانسان لعبادته وحده هو الأصل وهو صريح القرآن، والسنة :(خلقت عبادي حنفاء فاجتالتم الشياطين) رواه مسلم، فالتحريف طارئ وليس بالأصل، ولذلك اختلفوا في أبناء المشركين، مامصيرهم في الدنيا وفي الآخرة ، والذي دلت عليه النصوص وأعمال الرسول وهو الموافق لعدل الله ورحمته بعباده ، هو البراءة ولا يلزمون بأي حكم من الأحكام التي تجري على أبائهم.

6 - نماذج من العقيدة السلفية التي يدعو إليها مالك:

أ. قال مالك قبض رسول الله وقد تم هذا الأمر واستكمل، فينبغي أن نتبع آثار رسول الله وأصحابه ولا يتبع الرأي فإنه من أتبع الرأي جاءه رجل أقوى في الرأي منه فأنبعه فكلما غلبه رجل أتبعه ، أرى أن هذا بعد لم يتم.

واعلموا من الآثار بما روي عن جابر رضي الله عنه أن النبي قال:» قد تركت فيكم مالن تضلوا بعدي إذا اعتصمتم به كتاب الله وسنتي ولم يفترقا حتى يراد على الحوض).

وهذا النص من جوامع الكلم والحكم لعلماء الإسلام ، ترى الإمام مالك يحصر الدين في الكتاب والسنة ويرى أن الأمر قد انتهى بقبض رسول الله إلى الرفيق الأعلى وأنه لم يترك مجالا لأحد يأتي بعده وأن الكمال في اتباعه وأن الرأي لا قرار له ولا ميزان مهما كان قائله وإلا فلا معنى للنبوة والرسالة، إن فتحنا باب الرأي في دين الله، فعلماء المسلمين يجب عليهم أن يتعلموا النصوص القرآنية والنبوية وأن ينوروها بالآثار السلفية، وأن يوجهوها بما من الله عز وجل عليهم بفهم الكتاب والسنة.

ب. وقال الإمام مالك رحمه الله : ولم يكن من أمر الناس ولا من مضى من سلفنا ، ولا من الذين يقتدى بهم، ومعول الإسلام عليهم أن يقولوا هذا حلال وهذا حرام، ولكن يقولون أنا أكره كذا وأرى كذا، وأما حلال وحرام فهذا الافتراء على الله ، أما سمعتم قول الله في سورة يونس الآية59(قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفترون).

هذا النص العظيم يبين لنا توارث المنهاج السلفي خلفا عن سلف في الوقوف مع النص وعدم الجرأة على التلفظ بتحليل أو تحريم، وإن فهموا من النص ما يدل على ذلك خوفهم من الله، يمنعهم مقارنة أنفسهم بمن لا ينطق عن الهوى الذي يأخذ أحكامه من الكتاب والسنة وهو على يقين من أمره، لأنه مبلغ عن الله، فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه، والشرع ما شرعه الله، والمستحب ما أحبه والمكروه ما كرهه الله ، والمباح وما أباحه الله، فليس لأحد نصيب من هذه الأحكام مهما بلغ علمه ومهما شاخ عمره . ما أحسن هذه النصوص . ما ألطفها وألذها تعطي نموذجا صالحا صارما في التمسك بالسنة وبالقرآن الكريم، وتسد أبواب الذرائع على البدع قليلها وكثيرها ، وتجبرها بأن علماء سلفنا الصالح، كانت حراستهم على السنة والكتاب أكثر من حراسة أصحاب الكنوز ومن الخائفين من أعدائهم ، فلم يتوان الإمام مالك في عقوبة من رآه يعمل عملا لم يكن عليه السلف الصالح ، فهؤلاء هم العلماء وهؤلاء هم الشعوب الصالحة الذين لا يتأخرون عن كلمة علمائهم فيرون أمرهم واجب الطاعة وهذا يرجع إلى تمسكهم بكتاب الله وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام . روى عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)

والحديث ظاهر في النهي عن الحلف بالآباء ، ومثله الحلف بالنبيء ، وبالكعبة والشرف والطعام والأولياء والصالحين، وغير ذلك مما هو واقع في هذه المجتمعات التي لا تقرأ موطأ مالك، ولكنها تتمسح باسم مالك حيث أورد هذه الأحاديث في موطئه لنصيحة الأمة في عقيدتها أولا وفي عبادتها الخالصة للخالق ثانيا.

فالحلف بغير الله فسره ابن عباس بقوله عز وجل (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) ، والأنداد هوالشرك ، أخفى من ذبيب النمل على صماة سوداء في ظلمة الليل وهو أن تقول والله ، وحياتك يافلانة وحياتي ، أو تقول لولا كلبة فلان لأتانا اللصوص وهذا كله شرك ، فالكل لله أولا وأخيرا والعقيدة السلفية السمحة تعني التشبث بكتاب الله وبسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

4 . لاشك أن الإمام مالك رضي الله عنه كان على طريقة أئمة السلف، وعقيدتهم عقيدة جملة وتفصيلا، فعذاب القبر من جملة عقيدتهم ، وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به ولا نتكلم في كيفيته ، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ولكنه يأتي بما تحار فيه العقول حتى جاءت المعتزلة الذين أحدثوا القلاقل في عقيدة الأمة الإسلامية .

وأنكروا عذاب القبر واستحالوا وجوده. بعقولهم ، المنكوسة فرد عليهم أئمة السلف بمائبت عن الله وعن رسوله الكريم.

7 دواعي تشبث المغاربة بالمذهب المالكي وبالعقيدة الأشعرية:

احتفظت المدينة المنورة في القرن الثاني الهجري بمكانتها العلمية المرموقة حيث ورثت علم الصحابة رضوان الله عليهم، وعلم الفقهاء ولعل النهضة العلمية التي عايشها الإمام مالك بالمدينة وأثرت في فقهه وحديثه ترجع إلى الأسباب التالية:

. دورها التاريخي الذي كان لها في صدر الإسلام فهي دار الهجرة ودار الأنصار ومهبط الوحي ودار الحلال والحرام.

. كانت مقصد العلماء من مختلف الأمصار ،حيث كانوا يفدون عليها لزيارة قبر رسول الله (ﷺ)، فكانت مناسبة لاجتماعهم وتبادل الآراء والأفكار.

. الاستقرار السياسي الذي كانت تنعم به فلم تشملها الفتن العارمة التي شملت البلاد الأخرى كالعراق .

عدم تأثرها بالمذاهب والفرق والنحل التي ظهرت وانتشرت في ذلك العصر، ويرجع ذلك إلى اعتماد النصوص والأثر.

. اختصاصها بفتاوى بعض الصحابة خصوصا عمر وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر حيث كانت هذه الفتاوى نقطة انطلاق وازدهار الفقه بها وظهور الفقهاء المحدثين . كالإمام مالك رحمه الله.

كل هذه الأسباب وغيرها جعلت إمامنا مالك يعيش في بيئة علمية خصبة غنية استفاد منها في تكوينه العلمي وعرف كيف يجني ثمارها، إضافة إلى تمسكه بعمل أهل المدينة ، فقد أخذ بعلمهم لأن الناس تبع لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن ، ولعل الأسباب التي دفعت مالكا رحمه الله إلى اعتبار عمل أهل المدينة حجة.

. كان يرى أهل المدينة أقرب من مواقع الوحي، وهم أجدر بأن يحافظوا على ما سمعوه وتعلموه وشاهدوه.

. لاعتقاده أن ماكان يجري به عمل أهل المدينة لا يبعد أن يكون رسول الله قد اطلع عليه وسكت عنهم وأقرهم عليه.

. إن رسول الله لبث في المدينة عشر سنين يوحى إليه وكان يدبر شؤون الدين والدنيا فاعتبر دينه كما اعتبر علمه.

إن الصحابة رضوان الله عليهم من بعده وهم حديثو عهد بالنبوة والتشريع لم يغيروا شيئا من ذلك بل تابعوا رسول الله في سكوته وعلمه.

. كانت المدينة مركز الخلافة في عهد الخلفاء الراشدين، اجتمع فيها أكابر الصحابة وهم أكثرهم عددا وأوسعهم علما وأعلمهم بسلوك وسنة نبيهم، وقد نقل الإمام مالك إجماع أهل المدينة في موطئه على نيف وأربعين مسألة.

شكر على بلاغ

على إثر العملية الجراحية التي أجريت للعلامة الأستاذ محمد نور الدين بنعبد الوهاب اعرب أصدقاء وطلاب الأستاذ عن ابتهاجهم بتكلل العملية بالنجاح وتماثل فضيلته للشفاء وقد اتصل بنا فضيلته طالبا من الجريدة ابلاغ كل الأهل والأصدقاء والطلبة عن خالص شكره ، وجميل اعتباره لكل الذين زاروه أو اتصلوا به راجيا من الله أن يحفظهم من كل مكروه بفضله وكرمه.

نفحات من نسماتهم

■ أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

أسلم مع والده في أوائل صباه ، وهاجر معه ولو يتجاوز العاشر من عمره ، استصغره رسول الله يوم أحد ومنعه من المشاركة في القتال، وأجازه يوم الخندق فشهدها وما بعدها.

أخ شقيق لحفصة أم المؤمنين رضي الله عنها ..

كان جسيما آدم ربعة ، يحفي شاربه وله جمة تضرب إلى منكبيه، يتوضأ لكل صلاة.. أراده عثمان رضي الله عنه على القضاء فأبى..

شهد اليرموك والقادسية وجلولاء ، وأغلب الوقائع في فتح فارس.. وشهد فتح مصر كان عمره يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، اثنتين وعشرين سنة ما أعجبه من ماله شيء إلا قربه إلى الله عز وجل..

عندما شبت الفتنه الكبرى لم يكن يدع الصلاة خلف أمير، ويؤدي إليه زكاة ماله كان أعلم الناس بمناسك الحج .. حريصا على الدقة في تطبيق السنة .. بتتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يصلي فيها ، حتى بلغ من ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم نزل في إحدى رحلاته تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهدها ويصب في أصلها الماء.. وكان إذا فاتته العشاء في جماعة أحيا تلك الليلة.ويقوم أكثر الليل .. حتى قيل عنه: إنه مات وهو في الفضل مثل أبيه.. وكان لا يرد مستفتيا .. يفتي الناس من سائر البلاد .. لأنه كان يحفظ ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وما غاب عنه سأل عنه من حضر، حتى لا يضيع عنه من قوله وفعله شيء.. حتى في المساجد كان يتبع أثاره..

أخذ العلم عن خمسة عشر من جلة الصحابة غيرما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وكما تعلم فقد علم ، فأخذ عنه العلم وروى عنه ما ئتان وسبعة وعشرون من علماء الأئمة وسلفها الصالح.

يرجح أن وفاته رضي الله عنه كانت سنة ثلاث وسبعين للهجرة ، وقد بلغ عمره المبارك، كما أخبر بذلك الإمام مالك رحمه الله سبعا وثمانين سنة .. ودفن في فخ (وهو اليوم حي الزاهر) بمقبرة المهاجرين..

أكد الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : مامنا أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال لها.. غير عبد الله بن عمر..

أما التابعي الجليل السدي رحمه الله فقد قال: رأيت نفرا من الصحابة كانوا

■ إعداد الأستاذ: أبو يس عبد الرحمن

يرون أنه ليس أحد فيهم على الحالة التي فارق عليها النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، إلا ابن عمر .. كما ذكر أبو سلمة بن عبد الرحمن رحمه الله : مات ابن عمر وهو مثل عمر في الفضل، وقال أيضا: كان عمر في زمان له فيه نظراء، وكان ابن عمر في زمان ليس له فيه نظير.. وأما سعيد بن المسيب رحمه الله فقد شهد : لو شهدت لأحد من أهل الجنة لشهدت لابن عمر.. وفي شهادة أخرى قال : كان ابن عمر حين مات خير من بقي...

وقد ذكر الإمام الذهبي في سيره عن عطاء مولى ابن سباع ، قال : أقرضت ابن عمر ألفي درهم، فوفانيها بزائد مائتي درهم.

قال محقق كتابه السير:« وإنما تحل له الزيادة فيما إذا لم يكن على شرط منهما أوعادة .. أما إذا شرط في القرض أن يرداكثر أو فضل ، فهو حرام لأخير فيه، وفعل ابن عمر هذا له سند من السنة . ففي الموطإ ومسلم من طريق زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار عن أبي رافع: أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، استلف من رجل بكرا ، فقدمت عليه إبل من إبل الصدقة ، فأمر أبا رافع أن يقضي الرجل بكره(الفتي من الإبل) فرجع إليه أبو رافع فقال: لم أجد فيها إلا خيارا رباعيا (المختار المنتفى على أحيسن حال) فقال: أعطه إياه، إن خيار الناس أحسنهم قضاء» وأخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة .

وقد ذكر الذهبي في سيره: أن مروان بن الحكم قال لابن عمر بعد موت يزيد بن معاوية : هلم يدك نبايعك ، فإنك سيد العرب وابن سيدها .. قال : كيف أصنع بأهل الشرق؟ قال . نضربهم حتى يبايعوا . قال والله ما أحب أنها دانت لي سبعين سنة ، وأنه قتل في سيفي رجل واحد ...

كان يحب الحرية ويعمل على تحرير الإنسان بعلمه وعمله ، فقد كاتب غلاما له على تحريره أربعين ألفا ، فخرج الغلام إلى الكوفة ، فكان يعمل على حمرله حتى أدى إليه خمسة عشر ألفا، فجاءه إنسان ، فقال : أمجنون أنت ؟ أنت هاهنا تعذب نفسك وابن عمر يشتري الرقيق يمينا وشمالا ثم يعتقهم!؟ ارجع إليه فقل له : عجزت . فجاء إليه بصحيفة المكاتبة، وقال يا أبا عبد الرحمن قد عجزت وهذه صحيفتي فامحها فقال : لا ولكن امحها أنت إن شئت، فمحاها ، ففاضت عينا عبد الله، وقال اتذهب فأنت حر ، قال: أصلحك الله، أحسن إلي ابني : قال هما حران، قال : أحسن إلى أمي ولدي، قال " هما حرتان.

وفي تحرير الانسان ضرب أروع الأمثلة غير ما ذكرت ، فقد أعطي بنافع غلامه عشرة آلاف فدخل على صفية امرأته، فحدثها يستشيرها، فقالت : فماذا تنتظر؟ فقال: فهلا ماهو خير من ذلك؟ هو حر لوجه الله ... قال محمد العمري راوي الحديث : فكان يخيل إلي أنه كان ينوي قول الله تعالى: « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» سورة آل عمران الآية :92.

ولم يكن يخرج من فيه إلا الخير والبر فقد أكد بن شهاب الزهري : أراد ابن عمر أن يعلن خادما ، فقال : اللهم ألف... فلم يتمها .. وقال: ما أحب أن أقول هذه الكلمة .. وقال سالم ابنه : مالعن عبد الله خادما له قط إلا واحدا فأعتقه... وقال نافع مولاه: ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف انسان .. أو زاد..

واختبر يوما راعيا مملوكا .. وهذه هي الواقعة : روى الطبراني عن زيد بن أسلم:

مر ابن عمر براعي غنم فقال: ياراعي الغنم : هل من جزرة (ما يصلح للذبح من الغنم) قال : ماههنا ربها (صاحبها ومالكها) قال : تقول أكلها الذئب ، فرفع الراعي رأسه إلى السماء ، ثم قال : فأين الله؟ فقال ابن عمر : فأنا والله أحق أن أقول ، فأين الله ؟ ثم اشترى الراعي ، فأعتقه ، واشترى الغنم وأعطاه إياها.

وهذه درر من أقواله أسوقها غيضا من فيضه:

1 . ذكر الذهبي في سيره عن حمزة بن عبد الله ، قال : لو أن طعاما كثيرا كان عند أبي ماشبع منه بعد أن يجد له أكلا، فعاده ابن مطيع ، فرآه قد نحل جسمه ، فكلمه ، فقال « إنه ليأتي علي ثمان سنين ، ما أشبع فيها شبعة . أوقال : إلا شبعة فالآن تريد أن أشبع حين لم يبق من عمري إلا ظِمءُ حمار.

2 . روي ابن سعد عن نافع ، قال : كان ابن عمر يسلم على الخشبية والخوارج وهم يقتلون وقال ر«من قال حي على الصلاة) أجبته ، ومن قال :() حي على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله) فلا...

3 . روي ابن سعد عن سعيد بن جبير: لما احتضر ابن عمر، قال: ما آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاثة: ظمأ الهواجر ، ومكابدة الليل، وأني لم أقاتل الفئة الباغية التي نزلت بنا (يعني الحجاج)...

4 . روى الطبراني عن مطعم بن المقدام : كتب الحجاج إلى ابن عمر: ابلغني أنك طلبت الخلافة، وإنها لا تصلح لعيي ولا بخيل ولا غيور، فكتب إليه : أما ما ذكرت من الخلافة فكما طلبتها وماهي من بالي ، وأما ما ذكرت من العي فمن جمع كتاب الله فليس بعيي ، ومن أدى زكاته فليس ببخيل، وإذا أحق ما غرت ولدي أن يشركني غيري فيه.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1023
السنة 36
الجمعة 6 ربيع الثاني 1424 هـ
الموافق 6 يونيو 2003 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب.

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

تعزية

علمنا بمزيد من الأسى والأسف بخبر وفاة والد الأستاذ الباحث بنعسيى زغيوش الأستاذ بكلية الآداب بفاس المشمول بعفو الله محمد بن الطاهر زغيوش يوم الثلاثاء 2003/5/26، تغمد الله الفقيد بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنانه وألهم ذويه الصبر الجميل وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ميثاق الرابطة

العدد: 1023 الجمعة 6 ربيع الثاني 1424 هـ . الموافق 6 يونيو 2003م

إن ماوقع من عدوان إرهابي يتعارض مع عقيدتنا السمحة

سماحة الإسلام تجعل من الجهاد اجتهادا في فعل الخير

إن التمتع بالحقوق والحريات يقتضي القيام بواجبات والتزامات المواطنة

وجه صاحب الجلالة الملك محمد السادس مساء يوم الخميس 27 ربيع الأول 1424 الموافق 29 ماي 2003 خطابا ساميا إلى الشعب المغربي. وفي مايلي نص الخطاب الملكي السامي:

"الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

شعبي العزيز:

لقد عاهدتك أن أتحدث إليك بكل صراحة، مهما كانت الظروف. وإذا كنت لم أخاطبك مباشرة، إثر الاعتداءات الإرهابية التي ضربت الدار البيضاء، لأقول بأننا كسبنا المعركة ضد الإرهاب في ليلة واحدة أو أيام معدودة، فذلك راجع لثقتي في حكمتك وتبصرك، والتزامنا المشترك بالمسؤولية والشجاعة في مواجهة المواقف الصعبة، واعتباري أن الوقت وقت عمل وحزم.

فكان ماتابعته من إصداري لتعليمات فورية مكنت من السيطرة على الموقف وبعث الثقة في النفوس، منوها بما قام به المواطنون ومختلف السلطات العمومية التي ستظل ساهرة على استقرارك، مجندة لخدمتك، معبأة تحت تصرفك.

ولاستخلاص الدروس مما حدث، والتعبئة ضد تكراره، ارتأيت أن أخاطبك اليوم مشاطرا المواطنين عامة، وسكان الدار البيضاء خاصة، مشاعر التأثر والسخط الشديد والرفض القاطع لما أصابهم من إرهاب عدواني أثيم، مجددا الإعراب عن أحر التعازي لأسر الضحايا الأبرياء، من المغاربة والأجانب. وقد قررت تجسيد تضامن الأمة مع أسر رعايانا المتضررين بتخصيص منح مالية لهم.

إن ما وقع من عدوان إرهابي يتعارض مع عقيدتنا السمحة. بل إن مدبريه ومرتكبيه هم من الأوغاد السفلة، الذين حاشا لله أن ينتسبوا للمغرب أوللإسلام الحق، لجهلهم بسماحته التي تعتبر أن من قتل نفسا بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا، وتجعل من الجهاد اجتهادا في فعل الخير، بدل زرع الفتنة وسفك الدماء.

وإذا كنا معتزين بالوقفة العفوية للشعب المغربي، قاطبة، كرجل واحد، ضد من خانوا وطنهم وقتلوا غدرا وعمدا أناسا أبرياء، وبالتضامن العالمي الواسع من كل الدول الشقيقة والصديقة في هذه المحنة، فإن ذلك يجب ألا ينسينا أن ما وقع بالدار البيضاء، كان بالإمكان أن يحدث بأي مكان، وإذا كانت الدولة، إدراكا منها للأخطار الإرهابية، قد تحملت مسؤوليتها في محاربتها والحرص على الوقاية منها بقوة القانون عن طريق نصوص ظلت معروضة على البرلمان عدة شهور، فإن بعض الأوساط عملت على المعارضة المنهجية لتوجهات السلطات العمومية، مسيئة استعمال حرية الرأي، فللجميع أقول: إن التمتع بالحقوق والحريات يقتضي القيام بواجبات والتزامات المواطنة، مؤكدا أن بناء الديموقراطية وترسيخها، لا يمكن أن يتم إلا في ظل الدولة القوية بسيادة القانون.

لقد دقت ساعة الحقيقة معلنة نهاية زمن التساهل في مواجهة من يستغلون الديموقراطية للنيل من سلطة الدولة أو من يروجون أفكارا تشكل تربة خصبة لزرع أشواك الانغلاق والتزمت والفتنة، أو يعرقلون قيام السلطات العمومية والقضائية، بما يفرضه عليها القانون من وجوب الحزم في حماية حرمة وأمن الأشخاص والممتلكات.

شعبي العزيز:

لقد عاينت بمشاعر التأثر، المسيرة الحاشدة للدار البيضاء. تلكم المسيرة التي تعد أكبر مسيرة وطنية من أجل السلام والتسامح ومناهضة العنف والتعصب، لم يسبق لها نظير، تنظم في هذه المدينة، مؤكدة أنها لن ترهبها جرائم شرذمة من الأوغاد السفلة. وقد تذكرت مثلك، باعتزاز، ومع اختلاف السياق، أجواء المسيرة الخضراء المظفرة، وما جسدته من التحام مكين بين العرش والشعب، والتزام الوعي واليقظة والتعبئة، كلما وقع استهداف ثوابت الأمة ومقدساتها، سواء للحفاظ على الوحدة الترابية للمملكة، أو لإنجاز مشروعنا الديموقراطي الحداثي.

لقد عبرت، شعبي العزيز، عن انخراطك القوي في إنجاز مشروعنا، في تماسك وانسجام بين مختلف فئاتك وجهاتك ومكوناتك السياسية والجمعوية والثقافية والدينية، كما أكدت في ردك القوي على مؤامرة المعتدين، أنك اليوم أشد صلابة، وأكثر إصرارا، وأقوى عزيمة على بناء مغرب الوحدة والديمقراطية والتقدم، والتضامن والتسامح، جاعلا من هذا الخيار الوحيد، خيارا لكل المغاربة، وملكا لكل المواطنين المتشبعين بقيمه المثلى العاملين على تجسيده على أرض الواقع.

ولشعبنا العزيز، الواثق بثوابته الحضارية، المتشبث بمقدساته، وبمكاسبه الديموقراطية، أقول إن الإرهاب لن ينال منا، وسيظل المغرب وفيا لالتزاماته الدولية مواصلا بقيادتنا، مسيرة إنجاز مشروعنا المجتمعي الديموقراطي الحداثي، بإيمان وثبات وإصرار. وسيجد خديمه الأول في مقدمة المتصدين لكل من يريد الرجوع به إلى الوراء، وفي طليعة السائرين به إلى الأمام، لكسب معركتنا الحقيقية ضد التخلف والجهل والانغلاق.

وهذا ضمن استراتيجيتنا الشمولية المتكاملة الأبعاد، بما فيها الجانب السياسي والمؤسسي والأمني، المتسم بالفعالية والحزم في إطار الديمقراطية وسيادة القانون. والجانب الاقتصادي والاجتماعي الذي يتوخى تحرير المبادرات وتعبئة كل الطاقات لخدمة التنمية والتضامن. والجانب الديني والتربوي والثقافي والإعلامي، لتكوين وتربية المواطن على فضائل الانفتاح والحداثة والعقلانية والجد في العمل والاستقامة والاعتدال والتسامح. وسنظل حريصين أشد مايكون من الحرص على نهج السياسات اللازمة لتفعيل هذه الاستراتيجية، هدفنا الأسمى في ذلك تعزيز كرامة المواطن، وتحصين الوطن وضمان إشعاعه الدولي، بعون الله وتوفيقه.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

معركتنا الحقيقية ضد التخلف والجهل والانغلاق وهذا ضمن استراتيجيتنا الشمولية المتكاملة الأبعاد بما فيها الجانب السياسي والمؤسسي والأمني... والجانب الاقتصادي والاجتماعي، والجانب الديني والتربوي والثقافي والإعلامي